بعض ملامح التراكيب والصيغ النوبية في اللهجة العربية السودانية

محمد مهدى محمد
زكريا على أحمد

وجدنا فى المقال الآتى نظرة مبتكرة الى اقتراض اللغة العربية من اللغات النوبية. فالمقال قد خرج عن سكة اقتراض الالفاظ السّالكة الى سكة اقتراض التراكيب والصيغ وهو (أمر لم يتعرّض له الدّارسون المشتغلين باللغة النوبية فيما نعلم) فى قولى الكاتبين نفسيهما. وقد رأينا تعميما للفائدة أن نعرض هذه الكلمة على نفر كريم من المشتغلين بمسائل اللغة ليعلّقوا عليها تعليقا ننشره فى ذيل المقال. وقد استجاب لدعوتنا نفر كريم من العلماء تجدون نظراتهم المقدّرة منشورة بعد المقال. ومازلنا نرحّب فى مجلة الدراسات السودانية بما يردنا من آراء حول المقال أو حول نظرات المعلّقين أو حول الاثنين معا ..... المحرّر

يبدو أنّ التعدّد اللغوى كان من السمات الثقافية السائدة فى بلاد النوبة طوال تاريخها الوسيط ،فكما هو الحال فى أسواق افريقيا الغربية الى يوم الناس هذا،فقد عملت المناشط التجارية وشعائر التعبّد الدينى المسيحى الى وضع عدد من اللغات المنحدرة من سلالات لغوية متباينة فى حيّز الاستخدام والاحتكاك المباشر فى الممالك النوبية. وهذه اللغات هى: القبطية والعربية والبجاوية وربما كانت من بينها الاغريقية والمروية وبعض لغات قبائل جنوب السودان كما يرجّح بعض الدارسين.[1] إلا أنّ النوبية قد ظلّت اللغة الرئيسية التى يتحدّث بها عامّة الناس فى خاصّة شئونهم.

وبسقوط دنقلة فى القرن الثامن الهجرى/الرابع عشر الميلادى (سنة ١٣١٨/٧١٨)، غربت شمس المسيحية عن النوبة السفلى، وكما يقول ابن خلدون:" انتشرت أحياء العرب من جهينة فى بلادهم واستوطنوها وملكوها وملأوها عبثا وفسادا، وذهب ملوك النوبة الى مدافعتهم فعجزوا ثم صاروا الى مصانعتهم بالصهر فافترق ملكهم وصار لبعض أبناء جهينة من أمّهاتهم على عادة الأعاجم فى تمليك الأخت وابن الأخت .....، ولم يبق لبلادهم رسم للملك لما أحالته صبغة البداوة العربية من صبغتهم بالخلطة والالتحام.(٢)

إلا أنّ العرب قد ظلّوا تحت سلطان الملوك النوبيين لقرنين تاليين فى النوبة العليا حتى سقطت مملكة علوة بسقوط عاصمتها سوبا فى سنة ١٥٠٥/٩١١م، فقامت على أنقاضها مملكة الفونج الاسلامية بزعامة عمارة دنقس كبير الفونج وعبد الله جمّاع شيخ مشيخة قرّى، فطار خبر هذا الاندحار حتى بلغ أقاصى النوبة السفلى، فدخلت سوبا وقرّى ـ علما المدينتين المزدهرتين اللّتين خرّبهما الغزاة ـ فى معجم اللّغة النوبية بمعنى الشؤم والنحس والبلاء.

إنّ هذه الظروف التاريخية الجديدة التى جعلت المسيحية تندحر اندحارا تدريجيا أمام الانتشار الوئيد للدين الجديد، قد وضعت العربية لغة الفاتحين فى ظروف مواتية، وأحدثت فى سودان وادى النيل على المستوى اللّغوى صراعا جعل العربية فى مستوى اللّغة العليا وهبط بالنوبية الى لغة أدنى.

وقد شهدت القرون التالية انصهار العنصر العربى مع العناصر النوبية والزنجية بفعل التزاوج المستمر انصهارا تولّدت منه الشخصية السودانية، بمكوّناتها الخلقية، وصفاتها الجسمانية والوراثية الحالية، مع تفاوت فى غلبة هذا العنصر أو ذاك تبعا للظروف الجغرافية والبيئية التى حكمت هذا التمازج وحدّدت قسماته ومساره.

أمّا على المستوى اللّغوى ـ وهو ما يعنينا فى هذا البحث ـ فكان بين العربية والنوبية صراع طويل الأمد كانت الغلبة فيه للّغة العربية، فاندثرت لغة النوبيين من السودان الأوسط بكامله، وانكمشت رقعتها فانزوت فى ناحية من بيئتها بين الشلّال الأول والرابع. (٣)

وربما فرّ بعض النّاطقين بها غربا واحتموا بالجبال فى جنوب اقليم كردفان طلبا للأمن.

ولمّا كانت اللّغة المنتقلة الى بيئة جديدة تأخذ شكلا يستمد بعض جذوره من لغات البيئة الجديدة التى صارعتها، فقد انتقلت الى اللّهجة العربية بعض الخصائص الصوتية من اللّغة النوبية ،فالخلاف الصوتى الذى تتميز به اللّهجات العربية المعاصرة فى الأقطار العربية لا يمكن تفسيره على ضوء اختلاف لهجات القبائل العربية التى هاجرت الى هذه البيئات فحسب ،ذلك لأنّ الأسانيد التاريخية تبرهن على أنّ بعض القبائل ذات اللّهجة الواحدة قد توزّعت بين معظم هذه البيئات ولم يكن من المألوف ـ كما يذهب بعض الدّارسين ـ أن تختص كل قبيلة بقطر من الأقطار.(٤)

ومن آثار هذا الصراع ونتائجه أيضا أن اقترضت العربية فى السودان من اللّغة النوبية مفرداتها الحالية المرتبطة بالزراعة وأدواتها واسماء نباتها وغلاّتها وشجرها التى لم يكن لنازلة ضفاف النيل من ابناء الجزيرة العربية مدرها ووبرها بها عهد. وهذا ما يعرف عند الدّارسين باقتراض الألفاظ ،وهو أمر لم تنج منه لغة ما لأنّه وليد الحاجة. ومن أمثلة الكلمات النوبية المقترضة Loan words فى اللّهجة العربية السودانية :" المريق"و" المقاد" و" الأشميق" و" البرتمودة" و" الدوكة" و" المترة" و" الأسكاق" و" التقند" و" الألس" ..... الخ، وبعض هذه الكلمات تحمل ميسم تعريبها وهو اضافة اللاّحقة آ.ق Suffix eg

ونحن نضرب صفحا عن اقتراض الألفاظ ،مكتفين بالأمثلة القليلة التى سقناها، لنقدّم نوعا آخر من الاقتراض يتعلق بالتراكيب والصيغ وهو أمر لم يتعرّض له الدّارسون المشتغلون باللّغة النوبية فيما نعلم.

والأمثلة التى نقدّمها هنا مستقاة كلّها من لغة واحدة من لغات المجموعة النوبية وهى النوبيين Nobin ،أو لغة المحس / الفاديجا كما يسمّيها نفر آخر من الدّارسين. ولتوضيح الصلة بين النوبيين Nobin وأخواتها، نقدّم هنا شجرة المجموعة النوبية كما وضعها رولاند استيفنسون.(٥)

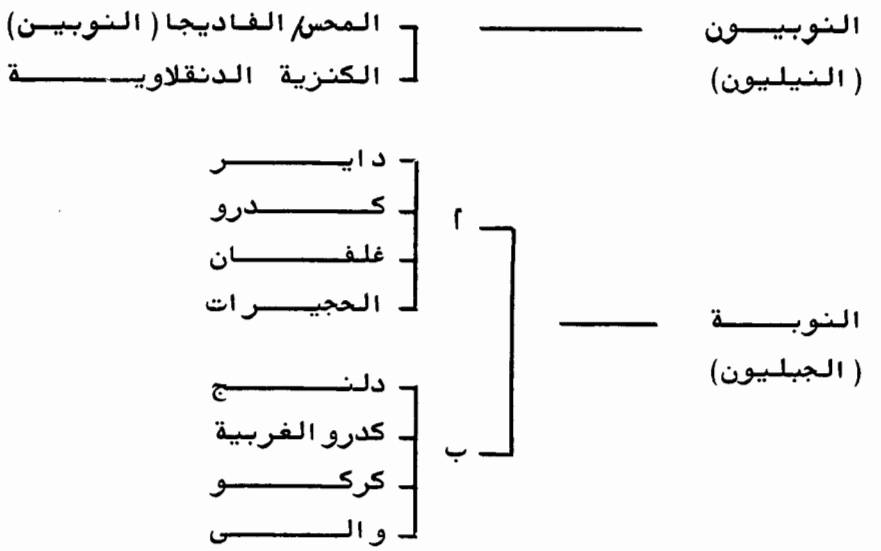

وترتبط لغة المحس/الفاديجا Nobin بصلات قربى وشيجة مع الكنزية الدنقلاوية Oshker على نحو يحملنا على الاعتقاد بأنّ الصيغ المستعارة من النوبيين Nobin فى العربية السودانية تقابلها مثيلاتها فى الكنزية الدنقلاوية Oshker حتى ولو تباينت المفردات الموظفة فى كل من اللغتين فى أداء هذه التراكيب والمعانى، إلا أنّنا نرجىء البحث فى هذه المسألة الى حين تناولها فى دراسة أخرى منفصلة فى المقايسة النحوية للغات النوبية.

الأمثلة

(I)

قاعد = ag̃

تستخدم اللغة النوبية الفعل آق ag للجلوس ،وهو يتصرّف تصرّفا كاملا تبعا للأزمنة المختلفة ووضع الفاعل معه مفردا كان أو جمعا، وتبعا للضمير: من متكلّم أو مخاطب أو غائب ،أو فردا كان أو جمعا أيضا.(٦)

ويعد الفعل tig مرادفا Synonym للفعل الأول من حيث المعنى ويتصرّف تصرّفا تامّا مثله تبعا للاعتبارات التى قدّمنا، إلا أنّ هنـــاك بين الفعلين فروقا: فقد اقتصرت النوبية على استخدام الفعـل للقعود والجلوس على اطلاقهما، واختصّت الثانى بمعنى الكينونـــة والوجود إذ جعلت منه فعلا مساعدا Auxiliary Verb يستخدم مـــع فعل آخر، ماضيا كان أو حاضرا بغرض صياغة الماضى المستمـــر Past Continuous أو الحال المستمر Present continuous

إنّ صياغة مثل هذه الجمل تكون فى النوبية على النحو التالى:

الاسم أو الضمير + الفعل المساعد + الفعـــل

(آق ag̃) (+ مميزات صرفية ولواحـــق دالّة على الزمن والعـــدد والجنس والهيئة ... الـــخ)

ولنوضح ما قدّمناه بالأمثلة التالية :-

	الاســـم أو الضميـــر	الفعل + المميزات الصرفيـة (فى المضارع)	(فى الماضى)
	(sing.) Buru-l	Kab-i	Kab-on
Nouns			
	(pl.) Buru-wi-l	Kab-innan	Kab-san
Ist person sing.	Ay	Kab-ri	Kab-si
2nd " "	Ir ag̃	Kab-nam	Kab-onam
3rd " "	Tar	Kab-in	Kab-on
Ist " pl	U	Kab-ru	Kab-su
2nd " "	Ur	Kab-rokkom	Kab-sokkom
3rd " "	Ter	Kab-innan	Kab-san

وتقابلها فى اللّغة الانجليزية الجمل الآتية :-

(sing.)	The girl	is eating	was eating
Nouns			
(pl.)	The girls	are "	were "
1st person sing.	I	am "	was "
2nd " "	You	are "	were "
3rd " "	He	is "	was "
1st " pl.	We	are "	were "
2nd " "	You	are "	were "
3rd " "	They	are "	were "

وقد انتقلت هذه التراكيب النوبية الى اللّهجة العربية السودانية التى أخذت تستخدم الفعل المساعد آق ag مترجما الى (قاعد) فى تراكيبها. ويمكننا توضيح توظيف اللّهجة العربية السودانية للفعل المساعد على النحو التالى:-

(أ) فى الحال (المضارع)

الاسم أو الضمير + الفعل المساعد + الفعل
(قاعد+ مميز صرفى دال
على العدد والجنس)

أمثلة:-

الولد/ هو	قاعد	ياكل
البنت / هى	قاعدة + ة	تاكل
أنا	قاعد	آكل
انتو	قاعد + ين	تاكلو
هم	قاعد + ين	ياكلو
هنّ	قاعد + ات	ياكلن

(ب) فى الماضى:-

الاسم أوالضمير + الفعل الناقص + الفعل المساعد + الفعل

	(كان + مميز صرفى دال على العدد والجنس)	(قاعد + مميز صرفى دال على العدد والجنس)

أمثلة:-

الولد/ هو	كان	قاعد	يشرب
البنت / هى	كان + ت	قاعد + ه	تشرب
أنا	كنت	قاعد	أشرب
انتو	كنتو	قاعد + ين	تشربوا
هم	كان + و	قاعدين +ين	يشربوا
هنّ	كان + ن	قاعد + ات	يشربن

هذا وقد تولدت من هذه الاستعارة للفعل المساعد فى اللغة النوبية عبارات مربكة الدلالة فى اللهجة العربية السودانية لا تستقيم للمنطق العام نحو:-

(١) قاعد يصلى بالناس.

(فهى لا تعنى أنه يؤم الناس فى الصلاة قاعدا، بل: انه يصلى بالناس اماما فحسب.)

(٢) كان قاعد يلعب معانا كرة القدم.

(فالعبارة لا تعنى أنه كان يشاركنا اللعب جالسا لعلة به، بل: كان يلعب معنا كرة القدم).

(II)

أسكت = Huss

يرجح أن الفعل huss من الكلمات الموحية بالدلالة onomatopaeia مثل كلمة cuckoo فى الانجليزية، وكذلك الفعل kok فى النوبية بمعنى "طرق". والنظر فى الصلة بين الألفاظ ومدلولاتها يعود الى أزمان ظهور القضايا اللغوية فى التراث الفلسفى عند اليونان، فقد ظل الخلاف محتدما بين الطبيعيين وأهل المواضعة القائلين بالعلاقة العرفية بين الدال والمدلول.[٧] ثم انتقل هذا الخلاف الى العلماء العرب،[٨] فقد كان منهم من يرى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية، وأشهر من عرف عنهم هذا الرأى عباد بن سليمان الصيمرى، وكان بعض من يرى رأيه يقول أنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها، فسئل: ما مسمّى "ادغاغ" - وهو بالفارسية الحجر- فقال: أجد فيه يبسا شديدا وأراه الحجر.[٩] أمّا اللغوى الكبير أبو الفتح عثمان ابن جنى (ت ٣٩٢هـ/٩٠٠٢م) فقد نظر فى الألفاظ وصلتها بمدلولاتها فى أبواب عقدها فى الخصائص، كتابه الذائع الصيت، منها: تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمبانى[١٠] والاشتقاق الأكبر وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى[١١] وأمساس الألفاظ أشباه المعانى[١٢] وقوة اللفظ لقوة المعنى.[١٣]

وفى مقابل huss فى النوبية تقف فى العربية المالية "صه"[١٥] و"مه" بمعنى أكفف، تقولهما للرجل إذا أسكنته وسكته، ويقال مهمّه بالرجل إذا زجره.[١٦] وربما وقعت "هس" فى بعض اللهجات العربية

القديمة اسما للفعل دالاً للزجر وإن كانت النصوص لا تسعفنا بالقطع بذلك . إلاّ أنّه قد جاء عن العرب قولهم: هسّ الرجل يهسّ هسّا، إذا حدّث نفسه ، وهسّ الكلام أخفاه ، وهسّوا الحديث هسيسا أخفوه ،والهسيس والهساس الذى لا يفهم ، وسمعت من القوم هساهس من نجيّ لم أفهمها ، والهسا[illegible] ، والوساوس حديث النفس ووسوستها. (١٧)

هذا وقد أخذت بعض قبائل السودان المستعربة مثل الشايقية هذه الكلمة huss الى عربيتها بدلالتها الصوتية ، إلاّ أنّ اللّهجة العربية السودانية بعامّة قد وظفتها توظيفا واسعا يتجاوز تلك الدلالة الصوتية ليتطابق مع استخدامها بمعانيها كلّها فى اللّغة النوبية .

الأمثلة :-

a) Hussan tig = Keep(sit) silent = اقعد ساكت
1 2 2 1 1 2

b) Hussan ag bann = قاعد يتكلّم ساكت
1 2 3 1 3 2

(والسكوت والكلام ضدّان لا يجتمعان والمقصود من الجملة أنّه يتكلّم دون هدف وقصد واضحين. وربما فرارا من هذا التناقض بين التكلم والسكوت تحوّلت الكلمة الثانية فى حديث بعضهم الى "سای")

c) Hussan wido = رجع ساكت
1 2 1 2

(= عاد خالى الوفاض ، أو بخفى حنين كما فى المثل العربى)

d) Illim innir awo ? = انت ليه سويت كده ؟
1 2 3 2 3 1

Hussani. = ساكت (= دون سبب)
1 1

e) Hussan harba-fijinna = متخاصمين ساكت
1 2 3 1 3/2

(أى دون سبب موجب)

f) Hussan deno. = أدّانى ليه ساكت
1 2 1 2

(أى دون مقابل)

(III)

عـــــــاد = Wida

تأتى كلمة wida فى مواضع كثيرة فى الجمل النوبية : أولا وآخرا وفى منتصفها كذلك ،دون تقيّد بأنواع منها،فهى داخلة على الجمـــل المثبتة والمنفية والاستفهامية والتعجبية والطلبية ، اسمية كانـــت أو فعلية. وكلمة wida هذه التى يمكن ترجمتها حرفيا الى "عائدا" أو "عودة" تأتى لغوا فى كلامهم، ذلك أنّ العبارة لا تتأثر باسقاطها تأثرا مخلاً بالمعنى على أية حال.

وقد انتقلت هذه الكلمة الى اللّهجة العربية السودانية مترجمة الى "عاد" وهذه كما ترى فعل verb ،وهى فى أصلها النوبى تأتـــى لوصف الفعل adverb أحيانا، وكذلك تجىء فى مواضع أخرى على نحـــو لا يتأتى لنا وصفه وتصنيفه فى لغة لم يتصد أهلها بعد لتقعيـــــد نحوها. إلا أنّها على كل حال تستخدم فى اللّهجة العربية السودانيـة على النحو الذى بيّنّاه فى اللّغة النوبية مع كونها كذلك لغوا فـــى الحديث يمكن اسقاطه. فلنقدم بيان ذلك ببعض الأمثلة من اللّغـــــة النوبية وما يقابلها فى اللّهجة العربية السودانية.

الأمثلـــــــة :-

حنسوى(١٨) شنـــــــــو	i) Minna* ha-awru ?
3 2 1	1 2 3
عاد حنسوى شنـــــــــو	ii) Wida minna ha-awru ?
1 2 3 4	1 2 3 4
شنو حنسوى عـــــــــاد	iii) Minna ha-awry wida ?
1 2 3 4	1 2 3 4
شنو عـــاد حنســـــــوى	iv) Minna wid ha-awru ?
1 2 3 4	1 2 3 4

(IV)

تمييز العـــــــدد

من الأعداد المفردة نوع لا يستعمل مع تمييز له فى العربيـــــة العالية وهو واحد واثنان، فلا يقال: جاء واحد ضيف ولا أقبل اثنـــا ضيفين،(١٩) لأنّ ذكر التمييز "ضيف ... ضيفين" مباشرة يغنى عن ذكـر العدد قبله ،إذ يبيّن النوع مع الدلالة على الوحدة أو على الزوجيـة فلا حاجة الى العدد،ولا فائدة منه.(٢٠)

وممّا يذكر فى هذا المقام أنّ العملة الورقية السودانية من فئة الجنيه ظلّت تحافظ ـ على الرغم من اصداراتها المتعددة ـ على خطأ لا يخفى، ففى أعلاها بالخط الدقيق:" أتعهّد بأن أدفع عند الطلب لحامل هذا السند مبلغ" ويأتى توضيح المبلغ المتعهّد بدفعه فى أسفل الورقة "واحد جنيه".وفى ذلك ترجمة حرفية لما فى العملة الانجليزية الورقية المقابلة I promise to pay the bearer on demand the sum of ثم يعقبه: ONE POUND

ولعلّ فى ما أوردناه ،تفسير لطريق واحدة على الأقل من طرق انتقال بعض التراكيب والصيغ النوبية الى عربية أهل السودان،فانّ تقليد أساليب اللّغة الانجليزية من قبل من وقفوا على ثقافاتها ليحملنا على الظن بأنّ بعض المشائخ الأوائل الذين هاجروا من دنقلا وديار المحس الى أواسط السودان ونشروا الاسلام والعربية بين أهلها قد حملوا بعض العادات اللّغوية النوبية التى لم يستطيعوا التخلّص من سلطانها على ألسنتهم فنقلوها الى مريديهم الذين تحلّقوا من حولهم.

ونعود الى اللّغة النوبية فنقول أنّها تميّز أعدادها كلّها: لا فرق بين واحد واثنين وما علا عنهما وارتفع. ولمّا كانت هذه اللّغة لا تعرف أداة التعريف ،فانّ كل الاسماء فيها تعدّ معرفة ما دامت مجرّدة ، إلاّ إذا الحقت بآخرها أداة التنكير،وهى (we = واحد) و " wēku " فى حالة الجمع.

أمّا اللّهجة العربية السودانية فقد حافظت على تقاليد العربية العالية المتصلة بتمييز العدد إلاّ فى حالة واحدة حاكت فيها النوبية فى أمثلة قليلة.

(أ) جيت أزور واحد صديقى ساكن فى حيّكم. (هكذا إذا كان منكرا، وأفصح منه : جيت أزور صديقا لى. وفى حالة التعريف جيت أزور صديقى.)

(ب) ومن انشاد الصبية فى بعض ألعابهم: الجبّة وقعت فى البير وصاحبها واحد خنزير

واللّعبة مصرية الأصل كما يبدو،ولعلّ استخدام "واحد" مع تمييز له قد انحدر الى اللّهجة المصرية من اللّغة القبطية ذات الصلات

التاريخية الوثيقة باللغة النوبية، فقد استخدم النوبيون القبطية في الشعائر الدينية إبّان العهد المسيحي.

( )

اسماء الاشـــــارة

للمشار اليه في اللغة النوبية ثلاث مراتب : قربى ووسطـــــى وبعدى، ويكون إمّا مفردا وإمّا جمعا، وأدوات الاشارة في حالة الفاعلية Normative or subjective case هي:-

In =	In	=	هذا/ هذه	للقريـب
	Innū	=	هـــؤلاء	
	Tar	=	ذاك/ تيك	للمتوسط
	Takkū	=	أولئـــك	
	Man	=	ذلك/ تلك	للبعيـد
	Mannū	=	أولى لـك	

وفي حالة ذكر المشار اليه نصّا في الجمل، فانّ أداة الاشـــارة للمفرد هي التي تستعمل دون غيرها: تبعا للقرب أو التوسّـــط أو البعد، دون الالتفات الى المشار اليه، مفردا كان أو جمعا.

وتكرار أدوات الاشارة في الجمل النوبية الاستفهامية كثيـــر شائع، وقد انتقلت هيئات التراكيب النوبية الاستفهامية مـــع أدوات الاشارة المتكررة الى عربية أهل السودان حتى أضحى التكرار فيهـــا سائغا مقبولا :-

الأمثلـــــة:-

In minaya ?	=	دا شنـــو ؟
1 2		2 1
In minaya ini ?	=	دا شنـو دا ؟
1 2 3		3 2 1
In burwa ini ?	=	دى بت (=بنت) دى؟
1 2 1		3 2 1

ويقع كذلك هذا التكرار لأداة الاشارة في النوبية دون أن يكـون هناك اسم فاصل بين الأداتين، نحو:-

Minaya in ini ?
1 2 3

وترجمته الحرفية :

شنو دا دا ؟
3 2 1

وهذه العبارة تسمع من أفواه بعض النوبيين مترجمة من لغتهـــم، إلا

أنّها لم تشتهر بعد اشتهارا يرتفع بها الى مصاف التراكيب اللّغوية الشائعة فى اللّهجة العربية السودانية.

(VI)

(ناس + علم شخص للأناسى)

ترد فى بعض أساليب اللّهجة العربية السودانية أعلام الأشخاص الدالّة على أفراد الناس مسبوقة بكلمة "ناس"، فمن قولهم:-

(أ) ناس محمد فى

وهذا ممّا يفسّره المقام وملابسات أخرى متعلّقة به:

فان أجيب عليه بالنفى قفل عائدا مع علم السائل والمسئول عنه بأنّ بالدار أهل محمد حضور، لأنّ السؤال لا يتعلّق بهم، بل بمحمد عينه دون سائر أهله وذويه. وربما عنى السائل بـ"ناس محمد" محمدا وذويه (=المحمدين) كقراءة بعضهم (سلام على الياسين)[٢١]. قالوا: إنّما يريد الياسا ومن كان معه على دينه، عليهم وعلى نبينا وآله وصحابته الصلاة والتسليم. وقالوا: أراد ياء النسب كأنّه الياسيين كما حكى عنهم صاحب الكتاب الاشعرون والنميرون يريد الأشعريين والنميريين.[٢٢]

ومثل ذلك ما ينسب الى أبى نخيلة أو حميد بن مالك الأرقط:[٢٣]

قدنى من نصر الخبيبين قدى
ليس الامام بالشحيح الملحد

قالوا/ عنى خبيب بن عبد الله وأباه عبد الله بن الزبير لأنّه كان يكنّى بأبى خبيب، وقيل أراد بهما عبد الله وأخاه مصعبا ابنى الزبير بن العوّام. ويروى بصيغة الجمع "الخبيبين" على ارادة عبد الله ومن كان على رأيه، وكلاهما تغليب.

(ب) ناس أحمد وصلوا

(ولا يحمل الكلام على أنّ الذى وصل هو أحمد ومعه ناس من أهله ضرورة، إذ يجوز أنّ أحمد قد أتى وحده دون أن يكون فى معيته أحد. فكلمة "ناس" فى هذه الحالة لغو، وربما

تكون للتبجيل.

(ج) يقول الشاعر الحاردلو:(٢٤)

الزول الصّباه فات الكبار والقدرو
كان شافوه ناس عبد الله كانوا يعذرو

وليس "ناس عبد الله" هؤلاء سوى أخيه عبد الله الذى يخاطبه الشاعر فى شعر ينسب اليه بقوله :-

يا عبد الله أخوى السيسبان مانوس
وفى ضلّه الرّهين راتعات معيز أم روس
أل فى عينه حمره وفى ايديه فلوس
أكان ختاها الملم ما أظنّه يلقى عروس

(د) وفى أغنية شعبية قديمة :-

يا حليل ناس آمنه وقت اللّيل يجن

(فليس حنين الشاعر حين يدلهم اللّيل الى أهل حبيبته آمنة ، إنّما حنينه اليها وحدها.)

(هـ) وفى قصيدة مادحة للشاعر الصوفى الكبير: الشيخ حياتى - رحمه الله تعالى:-(٢٥)

بعد اللّيل ما جن ناس ليلى جنّى

وتفسير الأمثلة المتقدمة كلّها يكون بمقايستها بتراكيب اللّغة النوبية المماثلة التى تسوق علم الشخص الموظف للعقلاء من الأناسى متبوعا بالوحدة الصرفية الدالّة على الجمع وهى " tū " أو " gū "فاعلام الأشخاص وكلمة "ناس" التى تتقدمها فى الأمثلة (أ- هـ)، تكون فى النوبية على النحو التالى:-

(أ) Mahammed-tu
(ب) Ahmed-tu
(ج) Abd Alla-gu
(د) Amna-gu
(هـ) Layla-gu

وفى كلّها يكون المقصود - فى الرّاجح - الفرد المسمّى نفسه دون أن يشركه أحد، مع أنّ التشريك جائز سائغ على كل حال، ما لم يحل

دونه حائل اقتضاه المقام والمعنى،فمثال التشريك الممتنع قولك:-

ناس أبوك فى ؟ Ibo-gu-1 agjinnana
1 2 2 1

إذ لا تجوز الاجابة على مثل هذا السؤال ب "نعم،أمّى فى". لأنّ السائل لا يسأل عن أحد الأبوين، بل عن الأب فحسب .

(VII)

ما = "Me"" Mi"

تأتى "ما" النافية فى اللّهجة العربية السودانية وعليها النبر الرئيسى فى نحو قولهم:"ما أكل" و"ما شربت". وهذه غير "ما" الحاملة للنبر الثانوى فى جمل ينتقل فيها النبر الرئيسى الى مواقع فى تمام الكلام الواقع بعدها والتى نعنيها بالبحث هنا دون صاحبتها،وهى لا تفيد نفيا كما يتضح من الأمثلة التالية :-

(١) ما أكلت قد أكلت
(٢) ما شربت بمعنى قد شربت
(٣) ما سمعت قد سمعت

وكذلك للحض فى الجمل الدالّة على الأمر:-

(٤) ما تاكل كل
(٥) ما تشرب بمعنى اشرب
(٦) ما تسمع اسمع

ونحن نزعم أنّ "ما" هذه قد انتقلت الى اللّهجة العربية السودانية من " me" و " mi" اللّاحقتين بالأفعال النوبية على نحو يشاكل وظيفتها فى الأمثلة العربية الستة المتقدمة التى نورد ترجمتها الى اللّغة النوبية مع وضع خط تحت اللّاحقة التى نعنيها للبيان:-

1) Kabam me-ssi
2) Niyam-me-ssi
3) Ukkiram-me-ssi

4) Kab-mi
5) Ni-mi
6) Ukkim-mi

(VIII)

فـــــــــى = Fi

"فى" فى لغة العرب حرف جر يفيد الظرفية ،وهى الأصل فيه ،وتكون أيضا للمصاحبة والتعليل والمقايسة وبمعنى:"على" و"الباء" و"الى" و"من"،وتأتى زائدة. إلا أنّ مذهب سيبويه والمحققين من أهل البصرة أنّ "فى" لا تكون إلا للظرفية حقيقة أو مجازا،وما أوهم خلاف ذلـــــك ردّ بالتأويل اليه،والله سبحانه أعلم.(٢٦)

واللّهجة العربية السودانية توظف "فى" بمعانيها المبينة كلّها إلا أنّ الأصل فيها الظرفية على كل حال. وفيها فوق ذلك كلمة "فـــى" أخرى موهمة تكاد تختلط بتلك ،إلا أنّها ليست حرفا مثلها فهى تـــدل على الوجود والكينونة وهما من معانى " fi" فى اللّغة النوبيـــــة ، ولنوضح ما نعنيه بالأمثلة :-

(١) كدى شوف لو الكتاب فى الصالون فى
(1 2 3 4 5 6 7
("فى" الأولى تفيد الظرفية،أمّا الثانية فليست حرفـــا ، فهى بمعنى كائن أو موجود،أو ما يماثل verb to be فـى اللّغة الانجليزية.)

وتقابلها فى النوبية :-

Usun nale kitab-lon salon-na fi kani
1 2 4 3 6 5 7 x

(٢) محمد فـى ؟

(= محمد موجود،أى أموجود أو كائن محمد.)

أمّا النوبية فلا توظف " fi" الدالّة على الكينونـــة إلا لغير العقلاء،فاذا جاءت مع العاقل فهى حينئذ فعل مساعد Auxiliary Verb أو رابطة كما فى اللّغة الفارسيـــــة ، وينبغى حينئذ أن يأتى معها فعل.

مثـــــال:-

Id nera fi = The man is asleep
1 2 3 x 1 3 2

= الرجل نائم.

ولا صلة للعربية العالية أو اللّهجة السودانية بهـــذه التراكيب.)

(٣) قـــارن:-

فى العربية السودانية :-

(أ) مـو فى.
1 2

وفى النوبيـــــــــــة :-

Fi mu.
2 1

(ب) مـى فـى ؟
1 2

وفى النوبيـــــــة :-

Fi mi ?
2 1

ونضيف هنا أنّ اللاحقة "مو" suffix mu تضاف الى الأفعـــــال النوبية لافادة النفى فيها،فهى بذلك ك "ما" فى العربية والتـــى تنتقل أحيانا الى "مو" فى العربية السودانية ،وربما فى لهجـــات عربية أخرى.

(IX)

عشـــرة = Dime

وقعت فى العربية السودانية عبارة "حبابكم عشرة" فى الترحيب خطابا لمن حلّوا أهلا ونزلوا سهلا،وكانت اذاعة ركن السودان مـــن القاهرة قد جعلت من هذا التعبير عنوانا لبرنامج اذاعى خصّـــص لاستضافة القادمين من جنوب الوادى يغنّى فى أوله :-

حبابك عشرة يا زائـر
حبابك ،
مرحبا بـك .

وفى أنشودة وطنية فى تمجيد ذكرى ثورة أكتوبر ١٩٦٤ السودانية

شهر عشـــره
حبابه عشـــره
وابقوا عشـره
على المبـادى

ولا أصل لكل ذلك فى العربية العالية فيما نعلم.

أمّا اللّغة النوبية ففيها كلمة "عشرة = dime" فى تبليـــغ التحايا،وتكون مكرّرة ،فيقال فيها :-

Dime dime-g salam(٢٧)

وترجمتها الحرفية :ـ

سلّم عليه عشره عشـــره

(أى سلاما كثيرا كثيرا)

وأصل ذلك ـ فى ظنّنا ـ ما يقوله الرجل منهم وقد بسط يده مصافحـــا أخاه :ـ Dime Kach أى اجعلها عشرة ،يعنى بذلك التقاء أصابع يـدى المتصافحين العشر.

(X)

واحد (مفـرد) = We (sing)

واحد (جمـع) = Wdku (pl.)

فى سلائق اللّغة النوبية اضافة اللاّحقة " " الدالّة علـــى الجمع الى " = واحد" أول عدد الحساب حملا ايّاه محمل الأسمـــاء العامّة إذ يقال فيها "we + ku = واحد + ين.

وقد روى صاحب اللّسان عن العرب تثنية "أحد" وأنشد عن ابـــن الاعرابى قول الأول:ـ(٢٨)

فلمّا التقينا واحدين علوته بذى الكف انّى للكماة ضروب

كما ورد جمعه على حد المذكر السالم فى قول الكميت :ـ(٢٩)

فقد رجعوا كحىّ واحدينـــا

أمّا اللّهجة العربية السودانية فلا تعرف تثنية "واحد" علـــى "واحدين" البتة ،إلاّ أنّ "واحدين" جمعا بالياء والنون على حد جمـع المذكر السالم المنصوب ففيها شائع وكثير. تقول:ـ

(أ) واحدين ماشين المدرســـة.

(ب) شفنا واحدين ماشين المدرسة.

(ج) جينا مع واحدين من حلّتكم.

ونحن ننظر الى هذه الأمثلة التى سقناها ومثيلاتها على أنّهـا كانت تراكيب شاذة أول وقوعها فى عربية أهل السودان،وارهاصـــا لتطوّر جديد لظاهرة من الظواهر اللّغوية التى سادت حلقة تاليـــة ، ونستأنس فى تناولها بما ذهب اليه د. رمضان عبد التواب فى تفسير الأمثلة الشاذة عن القواعد المقرّرة فى لغة ما ،فقد أرجع السبب فـى وجودها الى وجود مثيلاتها فى نظام لغوى مجاور فهى بذلك مقترضـــة

منها،وربما كانت بقايا حلقة قديمة ماتت واندثرت ،وهو ما يسمّيه بالركام اللّغوى للظواهر المندثرة فى اللّغة،ويوضح الفكرة بالشكل التالى:-(٣٠)

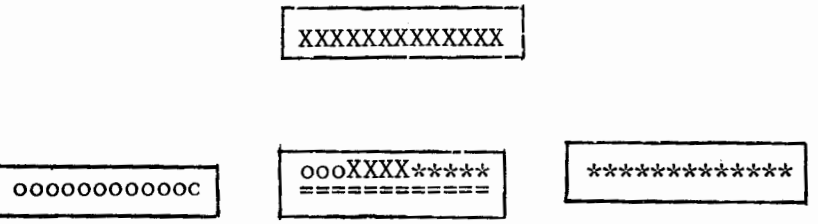

العلامة (x) تعنى النظام اللّغوى المجاور.
العلامة (*) تعنى المرحلة المندثرة.
العلامة (=) تعنى المرحلة الحالية.
العلامة (o) تعنى المرحلة التالية.

ونحسب أنّ "واحدين" والأساليب المتصلة بها فى اللّهجة العربية السودانية مقترضة من اللّغة النوبية وليست ركاما لغويا مندثرا لبعض لهجات العربية العالية القديمة. وقد تفرّعت عنها - مسايرة لطبائع العربية فى التفريق بين جموع التذكير والتأنيث - اضافة اللاّحقة " ا ت " لـ "واحد" فى نحو قولهم:-

واحدات ماشات المدرسة
واحدات ما عارفات الحاصل شنو

والذى يحملنا على ترجيح الأصل النوبى للظاهرة واستبعاد ما عداه ما يمكن تلخيصه فى الآتى:-

(أ) فى المثال الذى أنشده صاحب اللّسان للكميت ،وقعت "واحدين" نصبا على الحال: رجعوا واحدين،كقولهم: رجعوا أحاد وموحّد.(٣١) ومثل: جاؤا مجتمعين أو متفرّقين فى بيان حال مجيئهم. واللّهجة العربية السودانية لا تستخدم "واحدين" على هذا النحو بحال، إذ لا يقال فيها: جئنا واحدين،بمعنى مجتمعين أو متفرقين،على أى المعنيين حملت ،وهى فى ذلك توافق اللّغة النوبية.

(ب) الاستخدام الشائع لـ "واحدين" فى اللّهجة العربية السودانية

يكاد يحصرها فى حالات الفاعلية والابتدائية sujective and nominative cases أو المفعولية objective and dative cases، وهذه حالات استخدامها فى النوبية.

(ج) لم نجد واحدا من النحاة قد وقف عند بيت الكميت الذى لم نعثر على ما يحاكيه فى ما بين أيدينا من مصادر، ولا قعّدوا عليه شيئا من أصولهم ومسائلهم، ولم يقل منهم قائل بالحاق "واحدين" بجمع المذكر السالم، فالاسماء الملحقة به هى - كما يقول ابن مالك:(٣٢)

وشبه ذين، وبه عشرونا
وبابه الحق، والأهلونا
أولو، وعالمون، عليونا
وأرضون شذ، والسّنونا
وبابه، ومثل حين قد يرد
ذا الباب، وهو عند قوم يطرد

(XI)

قايل = Īgedāgi

تعبّر اللّغة النوبية عن معانى الظن والحدس والتوهم والاعتقاد بـ "القول"، فهى لا تعبّر عن هذه المعانى إلّا على هذا النحو. ونحسب أنّ هذه التراكيب قد انتقلت الى اللّهجة العربية السودانية من أصولها النوبية فاستقرّت فيها حتى أوشكت أن تطغى على ما عداها، فليس من مألوف العادة الكلامية فى عربية أهل السودان استخدام اسماء الفاعلين من "ظنّ" أو "توهّم" وما اليهما من أفعال دالّة على مقاصدهما، إذ يفرّون منها كلّها الى استخدام "قايل" للدلالة على مثل هذه المعانى اقتراضا لأساليب اللّغة النوبية.

أمثلة:-

(أ) كنت قايله أخوك = In nennallennay igedagis
(ظننت أنّه أخوك)

(ب) قايلك منّهم = Tella tonay ik igedagis
(توهّمت أنّك منهم)

(ج) قايله بقـــدر ؟ = Eskinayal igedagi ?

(أتحسبه يستطيع ؟)

هذا،وممّا ينبغى اضافته هنا أنّك تقول فى العربية العاليـــة: هذا قول فلان،أى رأيه ومذهبه. وتقول أيضا: ما تقول فى الرجليـن ؟ أى ترى فيهما. فقد تجوزوا فى تسميتهم الاعتقادات والآراء قـــولا، وذلك لأنّها تظهر بالقول أو ما يقوم مقام القول من شاهد الحـــال، فهى بذلك سبب القول وكان القول دليلا عليها.(٣٣)

الخاتمـــــة:-

يشير هذا المقال الى أنّ هنالك بعض الخصائص الصوتية وكثيـــر من الألفاظ المرتبطة بالزراعة وأدواتها بالسودان قد انتقلت مـــن اللّغة النوبية الى اللّغة العربية،وبما أنّ اقتراض الألفاظ مـــن اللّغة النوبية الى اللّغة العربية بالسودان قد حظى بالكثير مـــن الدراسات ،فانّ هذا المقال يختص بأنواع الاقتراض المتعلّقة بالتراكيب والصيغ والتى لم تتطرّق لها البحوث الكثيرة المتعلّقة بأثر اللّغة النوبية على اللّغة العربية بالسودان من قريب أو بعيد فيما نعلم، ولعلّ فى هذا دعوة وإشارة للباحثين للتنقيب فى هذا المجـــال.

الهوامش والمراجع

(١) P.L. Shinnie, Multilingualism in Medieval Nubia,(Studies in Ancient Languages of the Sudan), edited with an intr-oduction by Abdelgadir Mahmoud Abdalla (Khartoum, 1974) pp. 41 ff.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت ،١٩٦٦م) ج ٥،ص ٩٢٢-٩٢٣.

(٣) محمد متولى بدر، اللغة النوبية (القاهرة ١٩٥٥م) ص ٣٠.

(٤) ابراهيم أنيس ،من أسرار اللغة (القاهرة ١٩٦٦م) ص ٩٦.

(٥) Herman Bell,Place Names in the Belly of Stones(Khartoum, 1970), p.10. R.Thelwall, Lexicostatistical Relation between Nubian, Daj and Dinka, Extrait des Etudes Nubiennes (Colloque de chanttilly, 2-6 Julet 1975) p. 270.

(٦) قارن مع :

Abd al-Rahman Ayoub, The Verbal System in a Dialect of Nubian, (Khartoum, 1968) pp. 50 & 52.

(٧) J. Lyons, Introduction to theoretical Linguistics(Cambr-idge, 1968) p. 4 ff.

(٨) مصطفى مندور، اللغة بين العقل والمغامرة (القاهرة ١٩٧٤م) ص ٣١ وما بعدها.

(٩) جلال الدين بن أبى بكر السيوطى، المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، (تحقيق) محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل ابراهيم، (القاهرة "د.ت) ج ١ ص ٤٧.

(١٠) أبو الفتح عثمان بن جنى، الخصائص، (تحقيق) محمد على النجار (القاهرة ،١٣٧١-٧٦هـ/١٩٥٣-١٩٥٧) ج ٢ ص ١١٣.

(١١) المصدر نفسه ،ص ١٣٣.

(١٢) المصدر نفسه ،ص ١٤٥.

(١٣) المصدر نفسه ،ص ١٣٥.

(١٤) المصدر نفسه ،ج ٣ ص ٢٦٤،وانظر أيضا: ابراهيم أنيس ،دلالة الألفاظ ، (القاهرة ،١٩٥٨م) ص ٦٨ وما بعدها،حيث استعرض آراء اللغويين المحدثين فى ذلك .

(١٥) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور،لسان العرب (بـــــولاق ١٣٠٠-١٣٠٧هـ/١٨٨٢-١٨٨٩م) (صهصهه) ج ١٧ ص ٤٠٦.

(١٦) المصدر نفسه ،(مهـه) ص ٤٣٩.

(١٧) المصدر نفسه ،(هـس) ج ٨ ص ١٣٥.

(١٨) تستخدم العربية السودانية الصوت الحبيس الحلقى الاحتكاكى المهموس (ح) بديلا عن حرفى التنفيس (السين) و(سوف) المختصين بالفعل المضارع وهما يقلبان زمنه للاستقبال المحض. وكذلك تستخدم النوبية الصوت الحبيس الحنجرى الاحتكاكى المهموس (h) للغرض ذاته ،فتأمل. ونحو من ذلك الحاق العربية السودانية الصوت الشفوى الانفجارى المجهور (ب) الى أوائل الأفعال المضارعة مثل أنا بآكل،ويقابل هذا فى الكنزية/الدنقلاوية: I bi-kalli

(١٩) ورد نحو هذا فى الشعر قليلا وحمل على الضرورة ،ومنه قول الرّاجز:

كأنّ خصييه من التدلّل ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل

(٢٠) عباس حسن، النحو الوافى (القاهرة ،١٩٦١م) ج ٤، ص ٣٩٤.

(٢١) سورة الصافات ، الآية ١٣٠.

(٢٢) عبد القادر بن عمر البغدادى،خزانة الأدب (القاهرة ،١٢٩٩هـ / ١٨٨١م) ج ٢،ص ٤٥٠-٤٥١، ومحمود بن أحمد العينى، المقاصد النحوية (على هامش خزانة الأدب للبغدادى) ،ج ١ ص ٣٥٨ - ٣٥٩ ومحمد بن يزيد المبرد، الكامل،(تحقيق) زكى مبارك (القاهرة ١٣٥٥-١٣٥٦هـ/١٩٣٦-١٩٣٧) ج ١،ص ١٢٥ و ج ٣،ص ١٠٥٣.

(٢٣) عمر بن عثمان سيبويه ، الكتاب ،(تحقيق) عبد السلام هارون (القاهرة ١٩٧٧) ج ٢ ،ص ٣٧١ ونوادر أبى زيد الأنصارى(بتصحيح) سعيد الخورى (بيروت ١٨٩٤) ص ٢٠٥ والعينى، المقاصد النحوية ج ١ ص ٣٥٧ وفرائد القلائد،(القاهرة ١٢٩٧هـ) ص ٣٨،وأبو البركات الانبارى، الانصاف فى مسائل الخلاف (تحقيق) محمد محى الدين (القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦١م) ج ١ ص ١٣١.

(٢٤) محمد أحمد عوض الكريم أبو سن الحاردلّو،ديوان الحاردلّو، (تحقيق) ابراهيم الحاردلّو (الخرطوم ١٩٧٨) ص ٩٣.

(٢٥) الشيخ حياتى حمد عربى،مخطوطة ديوانه ،ص ٨٣٠

(٢٦) ابن أم قاسم المرادى، الجنى الدانى فى حروف المعانى، (تحقيق) فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل (بيروت ١٤٠٣ / ١٩٨٣م) ص ٢٥٠-٢٥٣٠

(٢٧) اللاحقة (g) علامة المفعولية.

(٢٨) جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور،لسان العرب ،(وحد) ج ٤ ،ص ٤٥٩-٤٦٠٠

(٢٩) المرجع نفسه ،ص ٤٦٠٠

(٣٠) رمضان عبد التوّاب ،بحوث ومقالات فى اللّغة (القاهرة ١٤٠٣/ ١٩٨٢) ص ٥٨٠

(٣١) محمود بن عمر الزمخشرى، أساس البلاغة ،(تحقيق) عبد الرحيم محمود (بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ص ٤٩٣٠

(٣٢) بهاء الدين بن عبد الله الهمدانى بن عقيل،شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ،(تحقيق) محمد محى الدين (القاهرة ، ١٣٨٤-١٣٨٥هـ/ ١٩٦٤-١٩٦٥م) ج ١ ،ص ٦٢٠

(٣٣) جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور،لسان العرب ،(قول) ج ١٤، ص ٩٠٠

التعليقـــــات

عبد الله الطيب
بروفسير شـرف
جامعة الخرطوم

عزيزى د. عبد الله على ابراهيم

تحياتى ـ أشكر لك إرسالك المقال الحسن عن ملامح التراكيب والصيغ الخ .....

والملاحظات فيه ذات بال،ولكنها لا تثبت كل الثبات مسألة التأثر بالنوبية. فكلمة (ساكت) تصلح لأن تكون عبارة مساعدة، والعرب تكثر من أفعال المساعدة وما يشتق منها:ـ

مثلا: قعد (بمعنى صار)

أرهف ..... حتى قعدت كأنّها حربة

قاعد ساكت (أى صار ذا سكوت). قاعد يتكلّم ساكت، (ساكت) تابعة لـ (قاعد) لا لـ (يتكلّم)، وعليه فلا تناقض.

وناس فلان ـ عربية وقد استعملت العرب (نويس) تصغير ناس. الذى أرجحه أنّ النوبية تأثرت بالعربية. وكنت مرّة أسأل عن معنى بت تمودة ولا شك أنّ تمودة لها صلة بالتمد أى الماء والبت والبنت كأنّ ذلك محرّف من (بث) أى تمر مفرّق جاف ليس برطب ـ فى رسالة الغفران:

وحبّ أرى ببث

أو بتمر جاف مفرّق

وصيرورة الثاء تاء فى دارجتنا أمر معروف.

والفرق بين البركاوى وبتمودة أنّ بت تمودة تغطس فى الماء ـ فهذا اللّفظ الذى ربما ظنّه المرء أول الأمر نوبيا ـ إنّما هو عربى وهلمّ جرّا

خالص تحياتى

عبد المنعم محمد الحسن الكاروري
شعبة اللّغة العربيـــــة
كلية الآداب ،جامعة الخرطـوم

في هذه الدراسة قدر من الطرافة والامتاع،يرجع أولا الـــى تنبيه الباحث الى مجموعة من العناصر اللّغوية التى قلّ أن يقـــف الانسان عندها لشدّة جريانها على الألسن بحيث لا يتشكك الانسان فـــى أصالتها العربية السودانية. ثم يرجع ثانية الى اتجاه الباحـــث للاهتمام بالجانب التركيبى من ظواهر الاحتكاك اللّغوى،وهو جانـــب ما زال يفتقد ما هو به حرىّ من عناية الباحثين فى الدراسات اللّغوية السودانية ،على الرغم ممّا له من دور مؤثر وهام فى أمر تطـــوّر اللّغات وانشعابها الى مجموعات وأسر.

وربما كان فى هذه العلّة الثانية طرح لأول سؤال يمكن أن يقوم أمام القارىء لهذا البحث . ومن ثم فسيكون هذا السؤال هو أولـــى النقاط التى استرعت انتباهنا فى هذا البحث والتى سنوردها كمـــا بدت لنا فى شكل ملاحظات متتابعة على النحو التالى:-

(١) إذا لاحظنا أنّ معظم المسائل التى أوردها الباحث لتـــدور حولها مناقشاته هى عبارة عن مفردات أضيفت لبعض الصيغ دون تقديم أو تأخير فى تراكيبها،فاننا قد نتساءل عن حقيقة مـــا قدّمه لنا: هل هو مجموعة من المفردات ،أم هو مجموعة مـــن التراكيب ؟ وتحديد هذا الأمر هام،لما يمكن أن يكون له مـــن أثر على الأحكام النهائية من حيث الجوانب أو العوامـــل التاريخية أو اللّغوية البحتة. إذ قد يرد السؤال عـــن احتمالات تساوى أو اختلاف طبيعة العوامل المؤدية الى انتقـال أو تحوّل كلّ من المفردات والتراكيب من احدى اللّغات الى لغة أخرى.

(٢) بعض البراهين اللّغوية فى هذا البحث تبدو ضعيفة فى بعـــض الأحيان. ذلك أنّ البحث لا يشير الى دراسات تحليلية استقصائية تبيّن التقلبات اللّغوية والحدود الجغرافية الدقيقة التـــى تربط أو تفصل بين الصيغ المختلفة للّهجات المتجاورة. فكـأنّ الباحث لم يقم بدراسة ميدانية تؤكد نتائج ما انتهت اليـــه

دراساته ،فى وقت يعالج فيه بعض العناصر اللّغوية الحية المعاصرة له.

(٣) على الرغم ممّا عرض له الباحث فى مقدمته ممّا يدلّ على وقوفه على ما بين لهجتى الفاديكا والمحس من فروق تراه يغفل أمر نسبة التراكيب التى أوردها الى واحدة دون أخرى من هاتين اللّهجتين على اعتبار أنّ مصطلح (النوبيين) شامل لكليهما. لكن دراسات شينى وهيرمان بيل التى وقف هو عليها تبين أهمية هذا التقسيم والانتباه له إذ ما أردنا اقامة الدراسة على نحو ما فعل. ولعلّه من الأمثلة التى تؤيد ذلك الملاحظة التى أوردها هيرمان بيل (Studies in ancient languages of the Sudan; p.116) عن دراسته التى هدته الى أنّ أداة الجمع (gu,) وهى من خصائص لهجة الفاديكا وليست من خصائص اللّهجة المحسية كما ادّعى رايتتش.

ونلاحظ هنا أنّ الباحث قد تصادف أن أورد هذه الأداة نفسها (gu) فى ص ١٣ من بحثه دون التفات لهذا التنبيه. وتجدر الاشارة فى هذا المقام الى ما يتصل بذلك وهو أنّ مقابلة الباحث فى ص١٢- ١٤بين الكلمة (ناس) وأداة الجمع (gu) تبدو أمرا غير مقنع وفيه كثير من التعسّف.

(٤) من العبارات التى تستوقف القارئ لهذا البحث قول الكاتب فى(الصفحة التاسعة) منه ".....على نحو لا يتأتى لنا وصفه فى لغة لم يتصد أهلها بعد لتقعيد نحوها". فانّ هذه العبارة ترجع بنا الى ص ٤-٦ حيث يفترض الباحث أنّ الفعل النوبى (ag) فى الجملة النوبية (Tar ag Kab-in) يقابل الكلمة العربية قاعد فى قولك (هو قاعد يأكل) وأنّ الفعل ag نفسه يقابل is فى الترجمة الانجليزية (He is eating). ولمّا كان الفعل ag يعنى فى بعض أحواله ما يعنيه مرادفه tig للقعود افترض الباحث أنّ العربية السودانية ترجمت هذا الفعل الى (قاعد) ثم استعملته الاستعمال أعلاه. بيد أنّ الشىء المألوف فى الاقتراض بين اللّغات هو اللّجوء الى مثل هذه الترجمة عند الحاجة القصوى للكلمة ،وما هنا ليس بحاجة بل

هو افساد لنسق التركيب المألوف . فلماذا إذن لا نفترض الافتراض الأقرب فى هذه الحالة من لغة (لم يتصدّ أهلها بعد لتقعيد نحوها) وهو أنّ هذه الحالة ربما كان شأنها شأن الانجليزية فى أمر الفعل المساعد. ومن ثم تبحث عن أصل آخر للفظ (قاعد) فى التركيب العربى السودانى،لا سيما وأنّه كثيرا ما تبدّل عنه الباء نحو قولك (هو بياكل وهو كان بياكل) فلا يعقل أن تكون الباء ترجمة للفعل النوبى (ag) ولعلّه من الطريف أن نشير هنا الى ما ذكره عبده كحيل فى كتابه (اللّغة ونشوءها،ص ٦٧،مطبعة الدبور- بيروب) وهو قوله (ليس- مركبة من لا وفعل الكون أيس وهو is الانجليزية).

(٥) فيما يتعلق بالكلمتين (wida ، Huss) فى ص٧ - ٨ لا يجد المرء تعليلا لترجمة الأولى الى (ساكت) مع ابقاء الثانية على صورة تقاربها (عاد) فى العامّية السودانية ،على حين أنّ الأولى من أصل عربى (هسّه يهسّه) ،وكلا الكلمتين لغو فى الموقع . ولا أعتقد أنّ الاسترسال الذى شغل به الباحث صفحة كاملة هنا يمكن أن يفيدنا فى شىء من ذلك .

(٦) لقد كانت العصور الوسطى هى احدى الفترات التاريخية التى احتكت العربية خلالها باللّغة النوبية ،ولكن اللّغات التى كانت قائمة فى هذه المنطقة خلال تلك الفترة والتى كانت تحتك ببعضها ،لا سيما تجاريا ،هى كما يرجّح شينى (راجع ص ٤٢-٤٣ من دراسة شينى عن اللّغات النوبية فى العصور الوسطى فى:(Studies in Ancient language of the Sudan)مجموعة اللّغات النوبية والعربية والقبطية وربما الاغريقية والبجاوية والمروية . وهذا أمر يقتضى التثبّت أولا من نفى احتمالات رجوع هذه العناصر اللّغوية (المفردات أو التراكيب) الى بعض هذه اللّغات الأخرى التى يمكن أن تكون هى نفسها صاحبة هذا الأثر أو ذلك فى النوبية والعربية كليهما.

وقد يؤيّد هذا الاعتقاد اشارة الباحث نفسه فى ص١٥ من بحثه الى أنّ (fi) النوبية لا تدلّ على الكينونة إلّا مع غير العاقل، أمّا مع العاقل فهى تستعمل استعمال الفارسية فى توظيفها كفعل مساعد أو

رابطة. فاذا كانت النوبية ليست من المجموعة الهندية الاوربيـــة (ينسبها باربر فى كتابه : سكان السودان، ترجمة هنرى رياض ص ١٦، الى المجموعة الحامية) فما علّة هذا التشابه مع الفارسية ؟.

وقد يؤيد ذلك أيضا تأكد تأثير اللّغة القبطية فى اللّغـــة النوبية ثقافيا وفى استخدام النوبية لحروف الكتابة القبطية بعد تكملتها بحروف ثلاثة تعبّر عن ثلاثة أصوات خاصة بالنوّبية ،وفـــى مجموعة غير قليلة من الكلمات النوبية التى ترجع الى أصول قبطية والتى يعدّ من بينها كلمة (مربية) النوبية الدنقلاوية التى يرجّح رجوعها الى الأصل القبطى (مريس) بمعنى الجنوب ليتطوّر معناهـــا فيما بعد الى (شراب الجنوب). راجع ص ٤٥ من دراسة شينى المذكورة قبلا).

وملاحظاتى السابقة لا تنتقص من قيمة البحث ولا من طرافتـــه.

محمد أحمد عمايـــــرة
قسم التربية ،كلّية التربية والفنون
جامعة اليرمـــــوك الأردن

إنّ دراسة الأستاذين محمد مهدى أحمد،وزكريا على أحمد،مـــن الدراسات الجديرة بالتقدير والاحترام،لأنّها تسعى الى دراسة ظاهـرة أعمق من اقتراض المفردات ،ألا وهى ظاهرة التداخل اللّغوى علـــى المستوى التركيبى Syntactical level . واللّغتان اللّتان تتداخلان هما العربية والنوبية. وهما لغتان تلتقيان فى انتمائهما فـــى الجذور البعيدة الى الأسرة الافريقية السامية (afro-asiatic family) من الأسر اللّغوية ،ولكنهما لغتان بعيدتان من حيث الفرع الذى تنتمى اليه كلّ واحدة منهما. والتداخل والاقتراض على مستوى المفردات أمر مألوف بين لغات تنتمى الى أصول لغوية مختلفة ، مستوى تداخل علـــى مستوى التراكيب فهو الذى يصعب الجزم به خاصة أمّا لغة كالعربيـــة ، تعدّدت لهجاتها ،وتعدّدت البيئات الاجتماعية التى تعاملت معها فـــى الاطارين المكانى والزمانى،ممّا يجعل تعليل ظاهرة اجتماعية بعامـــل واحد بعينه ،من المجازفات العلمية. ومن باب تورة لهذا الأمر،أذكر خاصيتين لغويتين،تسنّت لى فرصة ملاحظتهما ، الأولى هو القاف الـــذى ينقلب فى عدد كبير من الكلمات السودانية ،عندما ينطقها الاخـــوة السودانيون باللّهجة الفصيحة ، الى غين، استقلال، استغلال ـــ رغيبـــة وهكذا. والذى استرعى انتباهى أنّ الظاهرة ذاتها،تقع فى بعض قـــرى بلاد الشام (قرى مدينة نابلس) ولكن القاف فى لهجة تلك القـــرى تنقلب الى غين،فى استعمالاتهم اليومية لا الفصيحة. فيقولون (أغدر) بدلا من (أقدر) ،و(مش غادر) بدلا من (لست قادرا).

أمام هذه الواقعة ،يصعب أن نفترض أنّ اللّهجة السودانيـــة اقترضت من واحدة من اللّغات الافريقية المجاورة هذا الابدال للقـــاف بالغين. ومثل هذه الحالة قد تسعفنا فى متابعة الهجرات اللّهجيـــة العربية ،وانشاء أطلس لهجى تاريخى.

أمّا الخاصية الثانية وهى ما أشار اليها الباحثان فـــى عملهما الجاد،وأعنى استعمالات قاعد،إذ أشارا الى استعمالاتها الأخرى التى تتجاوز الرديف للجلوس لتأخذ هذه الكلمة دور الفعل المساعد

ليعنى الاستمرار،وفعلا واقع هذه الكلمة فى اللّغة النوبيةواستعانا بالانجليزية وخرجا بنتيجة خلاصتها أنّ العربية السودانية استعارت بعض دلالات هذه الكلمة من اللّغة النوبية ،وضربا أمثلة ،منها :-

(١) قاعد يصلّى بالناس . (٢) كان قاعد يلعب معانا كرة القدم. ومن الطريف أنّ الاستعمال ذاته يرد فى اللّهجة/اللّهجات الأردنية فى الريف . فنقول: الأولاد قاعدين بيلعبوا ،والبنات قاعدات بيرقصن، والأولاد كانوا قاعدين بيلعبوا قبل شوية ،والعمّال قاعدين بصبّو عرق هذه الاستعمالات المماثلة للاستعمال السودانى،جعلتنى أتساءل عن مدى استقامة التعليل الذى قدّمه الباحثان،وممّا عزّز التساؤل فى نفسى أنّ الاستعمال الذى أشار اليه الاخوان،يرد فى اللّهجة العربية المصرية .

ويشير ألن كى Alan Kaye الى استخدام قاعد على أنّها فعل مساعد يستعمل للاستمرار Continue to ga id+timpf ،فى عربية نيجيريا (Dictionary of Nigerian Arabic,1982)،فهل يعنى هذا تأثر باللّغات الافريقية المجاورة لعربية نيجيريا أم هو امتداد للّهجة السودانية؟

إنّ من الملاحظ أنّ اللّهجات العربية قد استعانت بصيغة اسم الفاعل قاعد للدلالة على الاستمرارية وسخرّته كفعل مساعد. واسم الفاعل من الصيغ الخلافية فى كفاءته الزمنية ،وهو ما أسماه الكوفيون بالفعل الدائم.

الذى أخلص اليه من هذه الأمثلة هو أنّ تأثير النوبية فى مفردات العربية ،أمر لا شك فيه وهذا يشابه أثر عدد من اللّغات فى العربية على مستوى المفردات . أمّا على مستوى التراكيب ،فاشعر بأنّ الأمر يختلف ،ويعزّز هذا الشعور عندى تلك الملابسات التى رافقت تعريب منطقة النوبة ،موطن المملكة النصرانية المتماسكة الى حد كبير،والتى أدّى تماسكها الى عقد معاهدة تنص فى أحد بنودها على عدم السماح للعرب بالاقامة فى بلاد النوبة إلاّ مجتازين غير مقيمين وعدم السماح للنوبيين بالاقامة فى بلاد المسلمين ـ عرب الشمال ـإلاّ مجتازين غير مقيمين (أنظر: المقريزى، المواعظ والاعتبار لـ بولاق ٢٠٠/١،والبلاذرى فتوح البلدان (نشر دى خويه)،ص٣٩٦ ومصطفى محمد مسعد، الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى، القاهرة ،١٩٦٠). هل يمكن أن

نتصوّر أنّ لهجة عربية قد مرّت الى بلاد جنوب النوبة وشرقها قبل أن تمر بالنوبة ذاتها،فى فترة استعصائها على التعريب ؟ الذى يدفع بهذا التصوّر،أنّ الاستعمال موجود فى لهجات بلاد الشام وهى بعيدة عن احتمال التأثر بالنوبة.

وقف الباحثان وقفة متأنية مع (ما) وذهبا الى أنّها عندما يكون النبر ثانويا تفيد التأكيد وترجماها بقدو،وخلصا الى نتيجة مفادها أنّ (ما) بهذه الدلالة قد انتقلت الى العربية السودانية من اللّغة النوبية. والطريف أنّ لهجات بلاد الشام تستعمل (ما) التى ذكرها الباحثان بالدلالة السودانية ذاتها فعندما تطلب من ضيفك أن يشرب كأسا ثالثة أو رابعة من الشاى،وهو غير راغب فى المزيد تسمعه يقول:(ما شربت كاستين يا اخى) أى قد شربت ،وهذا يقود الى استبعاد تأثر لهجات بلاد الشام بالنوبية ،ويقرّب افتراض هجرة بعض اللّهجات العربية الى الشام والسودان.

يبقى أمر التأثير والتأثر بين اللّغات من الأمور التى يصعب الجزم بها. ولا شك أنّ محاولة الباحثين،فيها جهد واجتهاد،ينم عن قدرة علمية ،متميزة. وما أبديته من ملاحظات يقع فى دائرة الاجتهاد بل الظن والتخمين. وأكرّر اعجابى بهذه الدراسة ،وتقديرى الكبير للجهد المبذول فيها.

الأمين أبو منقة محمّـــد
شعبة اللّغات السودانية والافريقية
معهد الدراسات الافريقية والآسيوية ،جامعة الخرطوم

فى المقال الذى نحن بصدد التعليق عليه يتعرّض الكاتبان الى "بعض ملامح التراكيب والصيغ النوبية فى اللّهجة العربية السودانية" باعتبار أنّها "أمر لم يتعرّض له الدارسون والمشتغلون باللّغـــة النوبية". وفيما أعلم أنّ الدارسين لم يتعرّضوا حتى لعملية اقتراض الكلمات والألفاظ الافريقية فى اللّغة العربية بصفة عامّة ،ناهيك عن التراكيب والصيغ. فكلّ الدراسات فى مجال الاحتكاك اللّغوى المتعلّق باللّغة العربية تركز اهتمامها على أثر هذه اللّغة على اللّغـــات الافريقية ،وليس العكس (أنظر أبو منقة ١٩٨٦). فمن هنا يتضح ثـــراء وخصوبة هذا الحقل من البحث الذى قام باكتشافه كلّ من الكاتبيـــن د. محمد مهدى أحمد ود. زكريا على أحمد.

فى البحث الذى بين يدينا يكاد كلّ مثال ورد فيه أن يكـــوّن موضوع مقال متكامل قائم بذاته. فلذا رأيت فى تعليقى هنا أن أحصر نفسى فى المثال الأول فقط ،أى فى عبارة "قاعد" التى تقوم مقـــام السابق (prefix) -ag المأخوذ من الفعل النوبى a gir بمعنـــى "يجلس أو يكون موجودا" وتوظيفها نحويا للتعبير عن الاستمراريـــة.

تعرف عملية توظيف الكلمات والألفاظ لمهام نحوية ،حسب الدراسة التى قام بها بروفسور بيرند هاينى ود. مشتيلـــــد رى (١٩٨٤)، بـ " grammaticalization ". يلى ذلك عملية اعادة تحليل هذه الكلمـات داخل اللّغة (re-analysis) على ضوء وظائفها النحوية الجديدة ،إذ لا بدّ فى هذه الحالة أن تنحرف هذه الكلمات بدرجات متفاوتة عـــن معانيها القاموسية. ويمكن ملاحظة وجود هذه الظاهرة فى عدد مـــن اللّغات الافريقية ،وخاصة فيما يتعلّق باستعمال عبارة "يجلـــس" أو "يكون موجودا" (be there) للتعبير عن الاستمرارية أو الحالـــة المستمرة (progressive aspect). ففى لغة كيرا (لغة تشادية) مثلا تقوم عبارة جالس بنفس الدور النحوى الذى تقوم به "قاعد" فى اللّغـة النوبية (عن لغة كيرا أنظر كارين ابرت ١٩٧٩). وكذلـــك أنّ الأداة

النحوية للتعبير عن الاستمرارية فى لغتى الفلفادى (الفولانيـــــة) والهوسا هى عبارة "يكون موجودا":

هو موجـود 0 don

هو موجود يأكل، أى فى حالة أكل 0 don nyaama

الهوســـا:

هو موجـود

هو موجود يأكل، أى فى حالة أكل

ويجب ملاحظة أنّ فكرتى التواجد والجلوس تشتركان فى الكثيـــر من الخصائص الدلالية. فتواجد الشخص فى مكان ما يفترض أن يكون فيه جالسا، أى فى وضع محايد بين الوقوف المرتبط بالمشى والرقـــــاد المرتبط بالنوم. ففى اللّغة السواحلية يعبّر عن الجلوس والسكنى فى مكان ما بنفس الكلمة. وهى كلمة ka كما فى:-

أجلس على الكرسى ninaka kitini

أسكن فى المدينـة ninaka mjini

نكتفى بهذا القدر فيما يخص فكرة توظيف كلمة -ag النوبيـــة كسابق للتعبير عن الاستمرارية فى اللّغة النوبية.

أمّا ترجمة كلمة -ag (وكذلك بقية التعابير الواردة فى هـــذا المقال) واستعمالها نحويا فى اللّهجة العربية السودانية للتعبيـر عن الاستمرارية أيضا، فهذه ظاهرة تعرف فى الدراسات اللّغوية الاجتماعية (sociolinguistics) بالترجمة المقترضة (loan-translation)، وهى أن تؤخذ الأفكار من (ثقافة) لغة ما ويعبّر عنها بكلمات لغة أخرى. فهى أشبه ما تكون بالترجمة الحرفية. والاتجاه السائد فى معظـــم الحالات هو أن يفكر الانسان بلغته الأولى (لغة أم) ويضع أفكاره فى قوالب لغوية من اللّغة الثانية. ولا يحدث العكس إلا فى الحالات النادرة والخاصة جدّا. لأنّه فى المراحل الأولى لتعلّم اللّغة الثانية كثيـــرا ما يلجأ المتعلّم الى عملية ترجمة الأفكار من لغته التى يجيدهـــا الى اللّغة التى يسعى لتعلّمها. وبهذه الطريقة ينقل المتعلّم تراكيب سليمة من لغته الأولى الى اللّغة الثانية ويحدث ألا تستقيم بعض هذه التراكيب فى قواعد اللّغة الثانية. فعليه يمكن أن نسمع عبـــــارة "قاعد يتكلّم ساكت" نقلا عن النوبية hussan agbannyi، وعبـــــارة

"بسمع جوع" (جائع) نقلا عن الفولانية "mi nanai weolo" أوالسواحلية
ninasikia njaa

مثل هذه الظواهر اللّغوية الاجتماعية تنتج دائما عن الاحتكاك المباشر بين لغتين أو أكثر، والتراكيب تنتقل وهى سليمة دائما من اللّغة السائدة الى اللّغة الثانوية، كما أسلفنا. وتستعمل اللّغة المشبّعة بهذه التراكيب (والتى قد لا تكون سليمة فى هذه اللّغة) كلغة ثانية (هنا العربية) بواسطة مجموعة المتحدثين باللّغة السائدة أى اللّغة المصدر (هنا النوبية). وكل هذا يوافق المعطيات التاريخية التى أوردها الكاتبان بشأن وضع ومكانة اللّغة النوبية عند دخول اللّغة العربية فى بلاد النوبة.

فعليه يمكن القول بأنّ اللّهجة العربية السودانية التى نتحدثها اليوم قد نشأت وربما تطوّرت فى بلاد النوبة. فالسؤال الهام كيف حدث أن انتشرت هذه اللّهجة وعمّت جميع أواسط السودان ووصلت بقاعا لم تطوّها قدم نوبى ؟

الدراسة التى بين يدينا تفتح آفاقا واسعة، ليس فقط لعالم اللّسانيات المهتم بقضايا نشأة وتطوّر اللّهجة العربية السودانية، بل للمؤرّخ المهتم بموضوع دخول وانتشار العرب أنفسهم فى السودان. وهذا ما لم يذكره الكاتبان فى مقالهما القيّم للغاية.

المراجع :-

Abu-Manga, A. (1986): Fulfulde in the Sudan: Process of Adaptation to Arabic, D. Reimer Verlag, Berlin

Ebert, H.K. (1979): Sprache und Tradition der Kera(Tschad) D. Reimer Verlag, Berlin.

Heine, B. and M. Reh (1984): Grammaticalization and Reanalysis in African Languages Hulmut Buske Verlag, Hamburg.

اسحق القرشـــــى
معهد الخرطوم الدولى للّغة العربية

—

يشتمل البحث على مقارنة ضمنية بين عامية السودان واللّغة النوبية فى مجال التراكيب النحوية ،ويخلص الى نتائج مؤدّاهـــا أنّ عددا من الأبنية التى (يزعم أن) لا وجود لها فى النظام النحـــوى لعامّية السودان هى دخيلة على العامّية من اللّغة النوبية. وهـــذا زعم قد هيأ له كثرة اقتراض عامّية السودان من اللّغة النوبية فـــى مفردات البيئة على وجه الخصوص. والمفردات سهلة الحركة والانتقال من لغة الى أخرى بكونها detatchable elements على حد تعبيرهـــم — لا تجشم اللّغات المقترضة اصطناع تركيبة جديدة كما أنّها فـــى الغالب لا تلزمها إعادة توزيع لوحداتها خلافا لمألوف النظام. أمّـا الحديث عن انتقال البنية النحوية فخلاف ذلك جميعا ،وتدلّ البحوث فى علم اللّغة (النظرى: علم اللّغة المقارن،والتطبيقى: التحليـــل التقابلى) على أنّ أكثر الدخيل فى اللّغات إنّما هو حادث فى مستوى المفردات وبدرجة أقلّ فى التعبيرات الاصطلاحية idioms ،وإنّ أقلّهـــا يقع فى مجال الأبنية النحوية — هذه نتائج تلزمنا بالتريّث فـــى إصدار أحكام الاقراض والاقتراض فى النظام النحوى خاصة ،حتى وإن بدا لنا تطابق فى أنماط نحوية بين لغتين فى حال احتكاك مع بعضهمـــا البعض ،فمثلا ذلك قد يحدث لغير الاقتراض من أسباب — (المشاعـــات اللّغوية مثلا) — وعلى العموم فإنّ الحديث عن الاقتراض يستلـــزم أن يحصل لنا فى البدء مزيد أنس بأنظمة اللّغتين كلتيهما ،وإنّى آخـــذ على البحث أنّ محط نظره وهو يعقد المقارنة بين عامّية الســـودان واللّغة النوبية لم يكن عامّية السودان والنوبية بل كان اللّغـــة النوبية والعربية العالية التى حلّل نظامها النحوى لهذه المقارنة بالانابة عن نظام عامّية السودان وأفضى بالتالى الى نتائج قـــد لا نسلّم بها. إنّ هذا المسعى ينطوى على خطأ نظرى كان شائعا لحيـــن من الدهر مؤدّاه أنّ الشكل اللّغوى الدانى low variety فى أوضـــاع الازدواجية اللّغوية لا يعدو كونه "ترجمة للشكل الفصيح للّغـــة high variety ،أو هو نفس الشكل الفصيح بمفردات وتشكيل صوتـــى

يدنو أو يبعد من الأصل. وفى ذلك ـ كما لا يخفى ـ إغفال لدينامية لغة التخاطب بظروفها السايكولوجية والسوسيولوجية المتميزة ،واطّراح لقدرتها على تطوير أنظمتها الخاصة. وسأقصر تعقيبى على محاولة للتدليل على أنّ معظم التراكيب موضوع النظر فى هذا البحث هى فى الواقع أنماط أصيلة ضمن النظام التركيبى لعامّية السودان وأنّ عدم وجودها (بالكلّية أو بالشكل الذى هى عليه) فى العربية العالية لا يعنى بالضرورة أنّها اقترضت من مستودع اللّغة النوبية ،ونبدأ بفرضية البحث الأولى ـ بنية (قاعد + الفعل).

ذهب البحث الى أنّ (قاعد ياكل ـ و ـ كان قاعد ياكل) مقترضان من

Tar ag kab-in

Tar ag kəb-on

ويبدو فى حكم البديه أنّ المقارنة هنا قد جرت بين النوبية والعربية الفصحى التى تفتقد هذه البنية (لكن أنظر الشيخ عبد الله عبد الرحمن ـ كتاب العربية فى السودان) ،ولو أنّها قد جرت بين النوبية وعامّية السودان لكان من الممكن أن نتبيّن أنّ (قاعد ياكل) ليست نمطا فردا معزولا بل هو جزء من صميم نظام متكامل اصطنعته العامّية لجأت فيه (لسبب لا تطاله معارفنا الحالية) الى استعمال الأفعال الدالّة على حركة الجسد من قيام وقعود ونط ووقوع ومشى ورجوع وما قاربها أفعالا مساعدة :ـ

قام يشكك فى المعنى الدّرناه.
قعد ينضم برّه من راسو.
نطّ يقاطع فى الراجل.
شبّ قال مستحيل ده يبقى.
وقع فيهم لوم (وقع يلوم فيهم؟).
ما تمشى تغفل منّو.
روّح فتح الكلام تانى.

قمنا بتدوين هذه النماذج من محادثات فعلية وأحاديث وتمثيليات قدّمتها إذاعة أمدرمان أثناء الاعداد لهذا التعقيب). فنلاحظ أنّ الأفعال التى تحتها خط فى كلّ هى أفعال لحركة الجسم قد أفرغت من دلالالتها الأصلية واستخدمت بصفة أفعال مساعدة ،كما

يلاحظ أيضا أنّها جميعا قابلة للتصريف والاشتقاق شأن(ag) النوبية ولسبب (لعلّ البحوث فى مجال الدلالة أن تجليه) تختلف دلالات الصيغة الاشتقاقية الواحدة لهذه الأفعال،ففى حين أنّ التركيب :-

قاعد ياكل / كان قاعد ياكل

يدلّ على زمن استمرارى (حال - ماضى) نجد أنّ تراكيب مثل:-

ماشى ياكل / كان ماشى ياكل

جايى اقول/ كنت جاى اقول

رايح اقول/ كنت رايح اقول

تدلّ فى زمن الحال على فعل مستقبل فى حين تدلّ فى الماضى على ظرف المقاربة ليس على زمن الفعل.

نخلص الى القول إنّ تركيب (قاعد ياكل) نمط طوّرته عامّية السودان ضمن نظام تعبيرى متكامل تستعين فيه بالأفعال الدالّة على الحركة الجسدية للتعبير عن أزمنة الفعل (وأحيانا عن وظائف غير ذلك) ليت شعرى أيكون النظام بكامله مقترضا !

* تركيب (واحد جنيه)

كذلك ممّا نظر فيه الى نظام العربية العالية من هذه المقابلة تركيب (واحد جنيه) ومجمل التعميم الناشىء بشأن استعمال تمييز العدد فى عامّية السودان. وألاحظ ابتداء أنّ البحث قد خلط بين دلالتين للفظة (واحد) حيث لم يميّز الاستعمالين فى قولنا :-

واحد جنيه

واحد صديقى

واعتبر (واحد فى الحالتين تمييز عدد،ولا أحسب أنّ ناطقا أصليا بعامّية السودان يمكن أن يجيز ذلك وإن كنّا نتبينه فى استعمال غير الناطقين باللّغة أحيانا (سنعود لهذه النقطة بعد قليل)

- اختلاف (محتمل) فى استعمال اللّغتين للتركيب (واحد + اسم) :-

نفهم من البحث أنّ اللّغة النوبية تستعمل هذا التركيب فى السياقات الدالّة على تمييز العدد بصفة عامّة ،ونلاحظ أنّ استعمال (واحد + اسم،واثنين + اسم) مقصور فى عامّية السودان على الحالات التى يغلب فيها سياق العد counting فنظام العامّية يتيح للمتكلّم

أن يقول:-

واحد جنيـــه

واحد فـــول

اثنين شـــاى

"سمعها فى المطاعم والمقاهى ولكن لا أحسب أنّ ناطقا أصليا يمكن أن يتحدث عن حضور (اثنين رجل) أو وصول (واحد مدرّس). ويغلب علىّ الظن أنّ هذا الاستعمال إنّما جاء على سبيل ما يعرف فى علـــم النفس التربوى بظاهرة المبالغة فى التعميـــم overgeneralization لسياقات العد: أربعة جنيه، خمسة جنيه، ثلاثة جنيه، واحد جنيه، اثنين جنيه .... ويهمّنا جدّا التأكيد على أنّ هذا الاستعمال لا تنفرد به عامّية السودان، بل هو شائع فى العامّيات العربية على اختلافها، وهذا يدلّ على أنّ التركيب إنّما ولّدته أنظمة العامّيات العربية، المتصلة منها باللّغة النوبية وغير المتصلة منها باللّغة النوبية.

مثل هذه الملاحظة تضعف أيضا فرضية البحث بشأن (فى) الدالّة على الكينونة فى (أبوك فى؟) وتكرار اسماء الاشارة (دى ايه دى؟) واستعمال (ما) الالتماسية والتقريرية.

نأتى الآن للاختلاف الدلالى فى تركيبى:-

واحد شـــاى

واحد صديقـى

لقد طوّرت العامّيات العربية (لا أقول عامّية الســـودان) دلالات جديدة للفظة واحد فى قولنا (جيت أزور واحد صديقى) حيث خلص الـــى معنى (شخص، فرد، زول، انسان ... الخ). ففى المثال أعلاه ليس سائغا أن يفسّر (كما ذهب الى ذلك البحث) إنّى جئت لزيارة صديق واحـــد، (ليس اثنين) ويؤيد افتراض أمثلة الجمع (واحدين) حيث تحل ضمـــن جداول استبدالية محل (ناس، أشخاص)

واحدين	قالوا نوّر.	وواحدين	قالوا دوب مروى ما بتنوّر
نـــاس		و- ناس	
أشخاص		أشخـاص	
جماعة		جماعـة	
بعضهم		الخ...	

- تركيب (عاد نسوّى شنو)

يضعف من فرضية افتراض (عاد...) من اللّغة النوبية أمران:-

(أ) أنّ أبا بكر الزبيدى قد لاحظ تفشى استعمالها فى عامّية أهل الأندلس بديلا لكلمة "بعد" - (لحن العامّة - مطر).

(ب) إنّها تسمع لهذا العهد فى عامّيات عربية (عامّية نجد مثلا وبوادى الأردن ممّا أتيح لنا سماعه).

وفى محاولة لتفسير أصل التركيب فى العامّيات نقول إنّ لفظة (عاد) تستعمل فى أغلب الأحيان استهلالا لجمل ذات صلة بمبدأ كلام سابق ولا تسمع فى جمل هى ذاتها مفتتحة لكلام بل تأتى بعد استطالة موضوع وتقادم ذكره لترد ما يلى منه على سابقة وترجع الأمر فيه الى مبدئه - فى معنى قولنا "نعود بعد ما مرّ ذكره لنسأل ماذا نفعل... عاد شن نسو" يذكر الفيروز بادى أنّ من معانى (العود) - الرد، فكأنّنا نرد الموضوع الى عقبة بعد أن تقادم ذكره.

- (ما) الالتماسية و(ما) التقريرية:-

هذان مصطلحان استعملهما الدكتور كمال بدرى (رسالة دكتوراه عن الخواص التركيبية لعامّية أمدرمان) رأينا المقام يقتضى الاستعانة بهما للتعبير عن مجموعتى الأمثلة الواردة فى البحث.

(أ) ما تاكل

(ب) ما أكلت

وابتداء فإنّا نستبعد اقتراض عامّية السودان هذه الأداة من اللّغة النوبية لثلاثة أسباب:-

(١) اختلاف الشكل mi و me والعربية (ما).

(٢) اختلاف التوزيع حيث ترد سابقة للفعل فى العامّية وتالية له فى النوبية.

(٣) ورودها فى جميع اللّهجات العربية التى يتهيأ سماعها من أفواه المتكلّمين ومن وسائل الاعلام. وخلاصة ما عنّ لى فى (ما) الالتماسية أنّها تشكل مقتطع لما يسمّيه ابن هشام (لما) الإيجابية التالية للقسم فى سياقات الحض:-

عزمت عليك لما فعلت

فنلاحظ أنّ لـ (ما) الالتماسية، نفس الوظيفة الحاضة التى لـ (لما)

فى هذا السياق ولعلّ العامّية مع إبقائها على وظيفة الأداة قد تصرّفت بوحدات التركيب فأسقطت عنه عبارة القسم واللّام فى (لما) والنحاة يحتجون لمثل هذا الاقتطاع بكثرة الدوران (راجع الانصاف فى مسائل الخلاف . لابن الانبارى) وهو من أساليب العربية ،ثم استبدلت بالفعل الماضى فعلا مضارعا أمنا للّبس فى تركيبى:-

ما تاكل

ما أكلت

ويقوّى هذا الزّعم أنّ العامّية حين تستخدم التركيب المناظر للفصيح بكامل وحداته تعود الى استعمال الفعل الماضى لما أمنت اللّبس :-

عليك الله إمّا أكلت (كامّا، إن ما،كان ما)

- تركيب (قايلو أخوك)

رأينا فى هذا التركيب هو رأى الباحثين فإنّ للتركيب أصلا فى العربية العالية ومن ثم فلا وجه للحديث فيه عن الاقتراض ،بل ينبغى أن ينظر اليه بصفته نمطا ناشئا ضمن نظام العربية العالية مطوّرا فى نظام العامّية.

هذا وهناك ثلاثة أنماط تركيبية فى عامّية السودان تبدو فرضيات الاقتراض فيها قوية جدا،تلك هى: استعمال"ساكت" فى التركيب (أقعد ساكت) وناس فى (ناس عبد الله) و(حبابكم عشرة) ،وقد عازنى ردّها الى مستودع العربية العالية أو الى نظام خاص بالعامّية ولعلّ لمن هم أطول منّا باعا رأيا فى ذلك ،فهذا ما يسّر الله لنا، ولقائل أن يقول: إنّ التراكيب الثلاثة أدنى الى التعبيرات الاصطلاحية منها الى الأبنية النحوية.

التعريف بتاريخ السودان القديم

سامية بشير دفع الله

مقدمـــــة

قليل جدا من المثقفين السودانيين يلم بتاريخ السـودان القديم الماما جيدا،وهؤلاء القلّة ربما لا يخرجون عن نطاق المتخصصين فى هذه الحقبة التاريخية من أساتذة الجامعات ورجال الآثار. وحتى وسط المؤرخين السودانيين فقد كانت هناك ،حتى وقت قريب ،فئة منهم تعتقد أنّ تاريخ السودان يبدأ بفترة الفونج وأنّ كلّ ما قبل ذلك يتبع لعلم الآثار.ويلاحظ اليوم فى جامعاتنا ومعاهدنا ضعف اقبال طلاّب الدراسات العليا على البحث فى تاريخ السودان القديم .. كل هذه الحقائق،وفى محاولة لتفسيرها نعتقد أنّ الجهل بتاريخ السودان القديم لا يمكن أن يعزى الى الاحجام المقصود،بل ربما يعود الى عوامل أخرى أهمها ندرة المراجع ،خاصة المكتوبة باللّغة العربية.(١) ومن العوامل إهمال تدريس تاريخ هذه الحقبة بالمدارس ثم تأخر ادخالها فى الجامعات .. إذ يلاحظ غياب مقرّر تاريخ السودان القديم فى منهج المرحلة الثانوية العليا. أمّا الكتاب الذى يدرّس بالمرحلة الثانوية العامّة ،مع تقديرى لوافعيه بشعبة التريخ ببخث الرضا، فهو لا يمكن أن يوصف بأنّه منهج مكتمل، حيث لحق البتر أوله وآخره.

فى جامعة الخرطوم أدخل مقرّر تاريخ السودان القديم لأول مرّة فى عام ١٩٥٨م بعد مجهود جبّار قامت به فئة من الأساتذة لاقناع الفئة المعارضة. أمّا عدم الاقبال على البحث فى تاريخ السودان القديم يرجع فى تقديرنا لطبيعة المصادر التى ينبنى عليها البحث فى هذا المجال،ونقصد بها المصادر الأثرية من النقوش والكتابات باللّغات القديمة ،وهذه تتطلّب تأهيلا مسبقا فى الآثار واللّغات القديمة على حدّ سواء، الأمر الذى لم يكن متوفرا فى جامعاتنا قبل السبعينات من هذا القرن.

والسؤال الجدير بالطرح: ما هى أهمية تدريس تاريخ السودان عموما،حديثه ووسيطه وقديمه ؟ وقبل الاجابة على هذا السؤال نلفت نظر السائل الى حقيقة عامّة وهى أنّ كل الأمم تجعل لتاريخ شعبها

مكانة خاصة فى مناهجها التعليمية. وهذا يعنى أنّه لابدّ أن تكون هناك فوائد ترجى من تدريس تاريخ الأمّة بل ومن تدريس التاريخ البشرى بصفة عامّة.(٢) وعلى رأس تلك الفوائد أنّنا عن طريق فهم الماضى نستطيع أن نفهم الحاضر ونخطط للمستقبل. وحتى إذا فرضنا جدلا أنّ أمّة من الأمم تحيزت لتاريخها الحديث على حساب ماضيها، فستجد نفسها قاصرة عن فهمه فهما متكاملا وذلك لاتصال حلقات التاريخ. الحديث منه يتصل بالوسيط ويتصل الوسيط بالقديم، فيستحيل فهم المراحل المتقدمة من غير الرجوع للمراحل التى سبقتها. أضف الى ذلك، أنّ معرفة الفرد لماضى أمّته وتأكده من أنّها أمّة ذات جذور ضاربة فى عمق التاريخ سيقوى من احساسه بأصالته وعراقته وانتمائه لهذه الأمّة والافتخار بها بين الشعوب.

أمّا عن فائدة تدريس التاريخ الوطنى بصفة عامّة، فإنّ مادة التاريخ الوطنى يمكن أن تستخدم خارج نطاق البحث التاريخى لاعطاء دروس للنشئ فى الأخلاق والتربية الوطنية، ويتم ذلك باختيار مواقف أخلاقية وبطولية وقفها أجدادنا، تحكى للصغار فيحاولون الاقتداء بها.

انطلاقا من هذا الفهم للدور الوطنى الذى يمكن أن يلعبه التاريخ الوطنى فى تأصيل شخصية الفرد السودانى، تأتى هذه المحاولة لتعريف المثقف السودانى بتاريخ أمّته، آملين أن يجد بعضهم من خلالها ما يحفزه للانخراط فى مجال البحث فيه.

التحديد الزمنى والجغرافى

متى يبدأ تاريخ السودان القديم ومتى ينتهى - وما هى حدود السودان الجغرافية فى ذلك الوقت ؟

إنّ تقسيم التاريخ البشرى الى عصور تاريخية أمر متعارف عليه فى الأوساط العلمية. فهناك عصران كبيران، الأول أطلق عليه العلماء عصور ما قبل التاريخ، والثانى العصور التاريخية.

وقسّم العصر الكبير الأول الى ثلاثة عصور حجرية، قديم ووسيط وحديث. وكذلك قسّمت العصور التاريخية الى عصر تاريخى قديم وعصر تاريخى وسيط وعصر تاريخى حديث. وسبب هذه التقسيمات هو وجود مميزات ميّزت كلّ فترة عن الأخرى. فاذا أخذنا على سبيل المثال العصور

التاريخية القديمة نجدها تميّزت بوجود الامبراطوريات الكبرى كالامبراطورية المصرية زمن الدولة الحديثة أو الامبراطورية الأشورية أو الفارسية أو الرومانية الخ. وتميّزت كذلك بانتشار فكرة الملكية المقدّسة وبانتشار الديانات الوثنية.(٣)

ويرى بعض العلماء أنّ التقسيم الى عصور ما هو إلاّ إطار عام قصد به فى الأساس تصنيف المعلومات ،وتحديد المنهج الأنسب لدراسة كل حقبة. فالمنهج المتبع فى دراسة العصور الحديثة والمعاصرة وهو الاعتماد على الوثائق والمخطوطات كمصادر أساسية. هذا المنهج لا يمكن اتباعه لدراسة العصور القديمة لعدم توافر ذلك النوع من المصادر،ويستعاض عنها بالآثار والنقوش والكتابات القديمة.

وإذا عدنا للسؤال أعلاه ،نجد أنّ أمامنا خياران. الخيار الأول تمليه علينا نظريات علماء التاريخ والتى ترى أنّ العصور التاريخية القديمة يجب أن تبدأ إمّا بعصر اكتشاف الكتابة وهو سنة ٣٠٠٠ ق.م أو بعصر استقرار الشعوب فى الألف الرابعة قبل الميلاد.(٤)

والاختيار الثانى هو أن نتبع التقليد الذى سلكه علماء الحضارات القديمة ،خاصة حضارات الشرق الأدنى،وهو دمج عصور ما قبل التاريخ فى العصر التاريخى القديم. ومن هؤلاء العلماء نذكر على سبيل المثال الدكتور عبدالعزيز صالح فى كتابه الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق) ،والدكتور محمد أبو المحاسن عصفور فى كتابه معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، وفيليب حتى فى كتابه تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين،وأ.ج. آركل فى كتابه تاريخ السودان

أمّا فى جامعة الخرطوم،فنجد أنّ شعبة التاريخ عندما أدخلت التاريخ القديم فى مقرّراتها قد سارت على نفس النهج. فوصف المقرّر بأنّه (يعالج أصل وتطوّر الحضارة فى السودان،منذ العصور الحجرية الى سقوط مروى).

هذا الاتجاه لتضمين عصور ما قبل التاريخ فى إطار التاريخ العام للأمم والشعوب ،يؤكد إيمان المؤرخين المتزايد بوحدة التاريخ البشرى،وبالآراء التى تنادى بتوسيع مفهوم التاريخ ليشمل كل أنواع النشاط الانسانى عبر العصور المختلفة. فالمؤرخ إذا عدم الوسيلة لصياغة التاريخ السياسى والاجتماعى لعصور ما قبل الكتابة فانّه

يستطيع عبر الآثار أن يسطر صفحات وصفحات من تاريخها الحضاري.

أمّا فيما يتعلّق بنهاية العصور القديمة، فنجد أنّ فلاسفة التاريخ لم يصلوا الى اتفاق حول تحديد زمن معين لنهايتها، وذلك لأنّ مميزات تلك العصور لم تنته كلّها في وقت واحد في كلّ أنحاء العالم. فمثلا في أوربا حدّدوا نهايتها بسقوط الامبراطورية الرومانية الغربية في عام ٤٧٦م وحدّدوا تلك النهاية في الشرق بظهور وانتصار الاسلام وانتشاره في القرن السابع الميلادي.

وفيما يختص بنهاية تاريخ السودان القديم، فانّ التقليد المتبع في شعبة التاريخ بجامعة الخرطوم، هو أن تنتهي العصور القديمة بسقوط مملكة مروى في حوالي سنة ٣٥٠م. ويبدأ العصر الوسيط بدخول بعثات التبشير وقيام الممالك المسيحية في نهاية القرن السادس الميلادي. ولكن بين سقوط مروى وقيام الممالك المسيحية تقع الفترة التي أطلق عليها رايزنر فترة المجموعة (س) وهي فترة تمتد لمائتي عام على الأقل بعد سقوط مروى ويعتبرها بعض العلماء(٥) فترة انتقالية مهدت الطريق لانتشار المسيحية والاسلام بعد ذلك. ويتفق كثير من العلماء في تحديد بداية العصر الوسيط بقيام الممالك المسيحية وجعل فترة المجموعة (س) في اطار التاريخ القديم.(٦) ونحن نرجّح هذا الرأي الأخير ذلك لأنّ الكثير من مميزات العصور القديمة قد استمرّت في فترة المجموعة (س) مثل الديانات الوثنية وتقديم الضحايا البشرية عند وفاة الملك وغيرها من العادات البائدة التي أبطلها الدين الجديد.

وننتقل الآن الى الاجابة على الشق الثاني من السؤال والذي يتعلّق بحدود السودان الجغرافية في الماضي. في واقع الأمر أنّنا لا نملك أو لا نستطيع في الوقت الرّاهن الاجابة على هذا السؤال اجابة مكتملة. وكل الذي نعرفه عن حدود السودان هو الحد الشمالي مع مصر والذي كان في أسوان أو بالتحديد في الألفنتين جنوب أسوان بقليل وقبالة جزيرة الفيلة. أمّا الحدود الأخرى فلا نستطيع تحديدها وعموما يعتمد المؤرخون في ذلك على انتشار المظاهر المادية للحضارة السودانية، فحيثما اكتشفت حضارة سودانية قديمة ضمن حدود السودان الحديث، افترضوا امتداد الهيمنة السودانية الى ذلك الجزء

مثال لذلك ، أنّ اكتشاف آثار مروية بسنار جعل من اللّازم مد حدود مملكة مروى الجنوبية الى سنار.

من ناحية أخرى يلاحظ تكدّس المواقع القديمة على جانب النيل بين أسوان والخرطوم. وقد وجدت هذه المواقع الاهتمام الأكبرمن بعثات التنقيب الأثرى، أنظر أدناه ص ٥١ - ٥٢)، الأمر الذى نتج عنه أنّ معظم ما نعرفه عن تاريخ السودان القديم قد جاء من هذه المنطقة والتى تظهر فى عناوين التقارير الأثرية تحت اسم النوبة أو النوبة السفلى (بين الشلّالين الأول والثانى) أو النوبة العليا (بين الشلال الثالث والخرطوم). أمّا خارج النوبة فقد اكتشفت مواقع قديمة فى منطقة البطانة وفى النيل الأزرق وفى كردفان وفى دارفور وفى اقليم البحر الأحمر.(٧)

مصادر تاريخ السودان القديم

تنقسم مصادر تاريخ السودان القديم الى مصدرين أساسيين. الأول مصادر خطية والثانى مصادر أثرية.

أولا: المصادر الخطية

المصادر الخطية يمكن تقسيمها الى نوعين: النوع الأول ما يقع فى دائرة النقوش والكتابات والنوع الثانى روايات الكتاب الاغريق والرومان والبيزنطيين.

(أ) النقوش والكتابات

منذ اكتشاف الكتابة فى مصر حوالى سنة ٣٫٠٠٠ ق.م وحتى القرن السادس الميلادى ظهرت فى السودان نقوش وكتابات فى أكثر من أربع لغات وكان للّغة المصرية القديمة نصيب الأسد من هذه النقوش وعليه سنبدأ حديثا بهذه المجموعة.

(١) النقوش والكتابات باللّغة المصرية

بدأت النقوش المصرية تظهر على صخور المنطقة الحدودية منذ فجر التاريخ وهى بالرغم من انحيازها الواضح للجانب المصرى وعكسها لوجهة النظر المصرية إلاّ أنّها تفيد، الى حدّ ما، فى القاء بعض الضوء على الأحوال السياسية والاجتماعية فى السودان خلال ذلك الوقت ،خاصة موضوع العلاقات السياسية

والتجارية بين البلدين. وقد كان عدد هذه النقوش محدودا جدا فى زمن الأسرات الأولى إلا أنه كان آخذا فى الازدياد بمرور الوقت .(٨)

وتحتوى تلك النقوش فى الغالب على معلومات عن حملات ترسل لبلاد النوبة بقصد تأديب السكان أو بقصد الغنم والفتح. وتأخذ قيمتها التاريخية من احتوائها على اسم الملك المصرى والسنة من حكمه التى أرسل فيها الحملة. وقد يحتوى النقش على تفاصيل قيمة عن السكان المحليين،وعن المنطقة ممّا يساعد المؤرخ فى تكوين فكرة عن طبيعة المجتمع السودانى آنذاك .

كثير من هذه النقوش ينتشر على صخور النوبة السفلى وجزء منها فى النوبة العليا وقليل جدا منها تركه أفراد مصريون أظهروا انحيازهم للنوبيين والاعجاب بهم.

هنالك مجموعة من الكتابات المصرية تتعلق بالسودان،وموجودة داخل القطر المصرى،من ذلك مثلا اللّوحات والبرديات الملكية ، والسير الذاتية للموظفين المصريين من الاقليم المصرى الجنوبى والتى كانوا يسطرونها على الجدران الداخلية لمقابرهم ،وفيها يذكرون الأعمال التى أنجزوها خدمة لملكهم أثناء حياتهم ، وقد تأتى ضمن ذلك كتابات عن نشاطاتهم فى بلاد النوبة .

توجد أيضا مجموعة من الكتابات باللّغة المصرية تركها ملوك نبتة ومروى(٩) وهى عبارة عن لوحات من الحجر تحتوى على سجل بأعمالهم فى خدمة الآلهة ،ببناء المعابد لها ،أو فى خدمة رعاياهم بتوفير الغذاء لهم،وضرب الأعداء والمارقين. وقد تتضمّن اللّوحة جانبا من نشاط الملك العسكرى خارج حدود السودان على نحو ما فى لوحة بعانخى وتانوت أمانى. وقد تعكس اللّوحات نوعا من الصراع حول السلطة كان يدور بين الملك والكهنة مثلما تقرأ فى لوحات الملك اسبلتا. كل هذه اللّوحات تقريبا تذكر اسم الملك والسنة من عهده التى كتبت فيها اللّوحات ممّا يكسبها أهمية تاريخية باعتبارها سجلا لأعمال الملوك ،وبالتالى تفيد كثيرا فى كتابة التاريخ السياسى.

ومن ناحية أخرى فانّ تلك اللّوحات تعتبر مصدرا أساسيا لمعلوماتنا عن الدين الرسمى لملوك نبتة ومروى،وعن بعض الاعتقادات والأفكار الدينية التى كانت سائدة ،وعن العلاقات بين أفراد الأسرة المالكة وعن طبيعة نظام الحكم والنظام الكهنوتى،وأشياء أخرى كثيرة. هذا فضلا عمّا نستفيده من دراسة الرسومات والتصاوير المصاحبة لتلك الكتابات والتى تصوّر الملوك والملكات والآلهة فى أزيائهم وهيئاتهم الرسمية.

(٢) النقوش والكتابات باللّغة المروية

اللّغة المروية هى لغة المخاطبة فى السودان منذ قيام مملكة نبتة[١٠] وقد كتبت لأول مرّة فى القرن الثانى قبل الميلاد. ومنذ الثمانينات فى القرن الماضى وحتى الآن بذلت جهود كبيرة لحل رموزها[١١] انتهت بنا الى التمكن من قراءتها وفهم معانى بعض المفردات والتراكيب إلاّ أنّ الجهود لفهم قواعدها ونحوها فهما كاملا مازالت متعثرة. وعلى أيّة حال، فانّ عدد النقوش والكتابات المروية التى بحوزتنا والتى يمكن أن تكون ذات قيمة تاريخية ،محدود جدا ،لكنّ الأمل معقود أن تسفر الحفريات المستقبلية عن عدد أكبر منها.

(٣) النقوش والكتابات باللّغة الاغريقية

وهذه أيضا محدودة العدد وكلّ ما وصل الينا منها تقريبا مؤرخ لفترة المجموعة س (٣٥٠-٥٥٠م). وأهم هذه النقوش نقش سلكو ،ملك النوباديين ،من كلابشة ،[١٢] وموضوعه تسجيل لنصر حققه سلكو على البليميين بعد عدّة جولات سابقة معهم. وتأتى أهمية نقش سلكو لاحتوائه على الدليل الحاسم لاستقرار البليميين فى مدن النوبة السفلى شمال مملكة النوباديين ،والمدن هى: قصر ابريم ،كلابشة ،تافه وتليليس.

ومن المصادر الاغريقية المهمة البردية التى عثر عليها فى قصر ابريم عام ١٩٧٦،[١٣] وهى عبارة عن رسالة من الملك النوبادى أبورنى لملك البليميين فونين وهى تؤكد ما جاء فى نقش سلكو من قيام مملكة البليميين فى النوبة السفلى فى

القرن الخامس الميلادى.

(٤) النقوش والكتابات باللّغة القبطية

اكتشفت فى قصر ابريم فى نفس الحفريات المشار اليها أعلاه ثلاث برديات مكتوبة باللّغة القبطية ،وهى عبارة عن رسائل من ثلاث جهات مختلفة ،كلّها مرسلة الى مسئول نوبى اسمه تانتانى ويحمل لقب " Phylarch "،وبما أنّ هذه البرديات مازالت قيد الدراسة ولم تنشر بعد،فلا يمكن الدخول فى تفاصيلها الآن.

(ب) روايات الكتاب الاغريق والرومان والبيزنطيين

هذه الروايات ،بالرغم من أنّ كثيرا من المهتمين بتاريخ السودان القديم قد انتقد بعضها هنا وهناك ،إلاّ أنّها فى الواقع لم تخضع لدراسة علمية مفصلة تبيّن غثها من ثمينها. وهى بلا شك ،لاتخلو من عيوب لكنها فى ذات الوقت ليست عديمة الفائدة التاريخية ، وسنحاول فى السطور التالية أن نعكس جانبا من الأهمية التاريخية لتلك الروايات .

أولى الروايات نجدها فى تاريخ هيرودوت والذى ألّف فى القرن الخامس قبل الميلاد. ويعتبر هيرودوت أول مؤرخ أوربى يذكر مروى، وقال إنّها عاصمة الاثيوبيين.(١٤) ورغم أنّه زار مصر وتجوّل فيها حتى حدود السودان الشمالية (الألفنتين)،إلاّ أنّ ما كتبه عن السودان جاء خليطا من الحقائق والخيال. وربما يعزى ذلك لاعتماده فيما يكتب على السماع،وعدم محاولته تحرّى صحّة ما يسمع. وقد اهتمّ هيرودوت بالوصف الجغرافى فوصف النيل والشلاّلات وقدّر المسافة التى تستغرقها الرحلة من أسوان الى مروى ومن مروى الى مناطق أخرى جنوبها (الكتاب الثانى فصل ٢٩). كذلك اهتمّ هيرودوت بتفاصيل حملة ادّعى أنّ قمبيز ملك الفرس أرسلها الى مروى. وقد سبق الحملة إرسال عدد من الجواسيس وصلوا الى مروى وقابلوا الملك وعادوا أدراجهم (الكتاب الثالث فصول ٢٠-٢٥).

أمّا ديودور الصقلى(١٥) فقد تحدّث فى كتابه الأول (فصل ٣٢ و٣٣) عن النيل ومنابعه ،وعن مروى والتى وصفها بأنّها جزيرة. أمّا فى الكتاب الثالث ،(فصل ٥ الى ٩) فقد وصف باسهاب بعض عادات المرويين مثل عادة قتل الملك قتلا طقسيا والتى أبطلها الملك السودانى

أرقامانى وغيرها من العادات .

هنالك أيضا روايات المؤرخ والجغرافى سترابو[١٦] والتى نجدها فى الكتاب السابع عشر من مؤلفه الجغرافيا. وقد سنحت الفرصة لسترابو لزيارة مصر والسفر فيها حتى أسوان بصحبة صديقه الحاكم الرومانى فى مصر الياس قالاس (حوالى سنة ٢٥-٢٤ قم). وقد بقى سترابو فى مصر حتى سنة ١٩. قم. وكغيره من المؤرخين الكلاسيكيين فقد اهتم سترابو بالوصف الجغرافى،ويتفق كثير من العلماء على أنّ ما قاله سترابو فى هذا الجانب صحيح الى حد كبير جدا. أمّا وصفه للناس وعاداتهم فيبدو معقولا جدا ولا نلحظ فيه ميلا للمبالغة أو السخرية أو إثارة الضحك كما نجد فى بعض روايات لكتاب آخرين.[١٧] لكن أهم جزء من روايات سترابو ذلك الذى وصف فيه الحملة الرومانية على السودان فى عهد أكتافيوس وفى عهد ملكة سودانية لم يذكر اسمها (الكتاب ١٧، ١:٥٣ - ٥٤) كذلك وصف سترابو،نقلا عن المؤرخ إراتوثين، قبائل النوبة والمنطقة التى كانت تنتشر فيها،ويعتبر هذا أول ذكر للنوبة فى التاريخ (الكتاب ١٧،١:٢-٣).

من كتاب القرن الأول الميلادى المؤرخ الرومانى بلينى صاحب التاريخ الطبيعى[١٨] وتحتوى روايته (الكتاب السادس ٣٥) على وصف جغرافى وعلى قائمة بأسماء عدد من المدن وعلى تفاصيل عن الحملة الرومانية التى ذكرها سترابو وعن حملة رومانية أخرى أرسلت للسودان فى عهد الامبراطور نيرو (٥٤ - ٦٨م) وفى عهد ملكة من الملكات السودانيات لم يسمّها.

أمّا المؤرخ سينيكا[١٩] فيتحدث عن بعثة أرسلت للسودان فى عهد الامبراطور نيرو أيضا بغرض استكشاف منابع النيل.وقال سينيكا أنّه تحصّل على معلوماته من أشخاص كانوا فى نفس البعثة. وذكر أنّ البعثة قابلت الملك السودانى (وليس ملكة هذه المرة) الذى أحسن استقبالها. بعد ذلك يأتى وصف للنيل ولمنطقة مليئة بالأعشاب تصعب فيها الملاحة إلاّ لقارب صغير جدا. وهذا الوصف يبدو مطابقا لمنطقة السدود فى جنوب السودان. مثل هذه المعلومات الصحيحة ترفع من قيمة هذا الجزء من الرواية ،وتجعلنا أكثر ميلا لتصديق بقيتها.

وإذا انتقلنا للفترة البيزنطية فهنالك رواية المؤرخ

أوليمبيودوروس[٢٠] والتى تعتبرمصدرا رئيسيا لمعلوماتنا عن البليميين فى القرن الخامس الميلادى. وقد وجدت هذه الرواية تأييدا من نص الملك سلكو. وهنالك أيضا رواية المؤرخ بريسكوس[٢١] وتحتوى على تفاصيل عن اتفاقية تمّ إبرامها بين السلطات البيزنطية فى مصر وبين زعماء البليميين والنوباديين فى منتصف القرن الخامس الميلادى وذلك إثر هجوم شنّته القبيلتان على جنوب مصر. أمّا الرواية الثانية فهى رواية بروكبيوس[٢٢] وهى مشهورة بسبب ما تعرّضت له من نقد كثير من المؤرخين المحدثين الذين وجدوا صعوبة فى تصديق بروكبيوس بأنّ النوباديين هم شعب استقدمه الامبراطور دايوكليشين (٢٨٤ - ٣٠٥م) من واحة الخارجة حوالى سنة ٢٩٧م، وطلب منهم أن يستوطنوا فى المدن الرومانية التى أخلاها الرومانيون فى ذلك الوقت فى النصف الشمالى من النوبة السفلى.

ثانيا: الآثار

الآثار هى المصدر الأوحد بالطبع لفترة ما قبل التاريخ. وبعد ظهور الكتابة صار المصدران مكملين لبعضهما البعض. وحتى فى العصر التاريخى فقد توجد فترات غامضة فى تاريخ الأمم. ففى السودان مثلا كانت هناك فترات إنعدم فيها الدليل الكتابى، فأصبحت أشبه بفترات ما قبل التاريخ. من ذلك مثلا الفترة الواقعة بين الأسرة السابعة والعاشرة المصرية. وكذلك فترة النبتيين الأوائل قبل عهد الملك كاشتا والذين تركوا مخلّفاتهم فى الكرو.

كما ذكرنا آنفا (أعلاه ص ٤٣) فإنّ الآثار تفيد فى معرفة التاريخ الحضارى فقط مثل الأحوال الاقتصادية ومستوى التقنية والعادات الجنائزية للجماعات والشعوب. وربما تفيد فى توضيح جانب من الأحوال الاجتماعية كالتفاوت الطبقى، وانتشار التجارة وعادات الناس وتقاليدهم الحياتية.[٢٣] ولكن الآثار غير قادرة على إبانة التاريخ السياسى والاجتماعى بمفهومه الواسع، لأنّ ذلك يستمد من الوثائق والمخطوطات.

تاريخ الحفر الأثرى فى السودان[٢٤]

ارتبط تاريخ التنقيب عن الآثار فى منطقة النوبة بمشروع خزان

أسوان الذى بدأ العمل فيه عام ١٨٩٨ بارتفاع ١٣٠ قدم. ولكن الحكومة المصرية قامت بتعليته ثلاث مرات بعد ذلك التاريخ وكان ذلك فى الأعوام ١٩٠٧-١٩٢٩ و١٩٥٩. وقبل تنفيذ أىّ من هذه المراحل كانت الحكومة المصرية تقوم بإعداد حملات المسح الأثرى لتسجيل الآثار المهمة قبل أن تغمرها مياه الخزان.

وقبل تنفيذ التعلية الأولى أعدّت الحكومة المصرية مشروعين، الأول لتسجيل المعابد وتقوية أساساتها والثانى لاكتشاف وتسجيل الجبانات فى المواقع الأثرية المهمة. وقد وضع فى قيادة المشروع الثانى (المسح الأثرى الأول للنوبة) رجل الآثار المقتدر جورج رايزنر وكان يساعده سيسيل فيرث.

وقد كان من أهم نتائج هذا المسح الأثرى الأول للنوبة- والذى شمل المنطقة من أسوان وحتىٰ وادى السبوع - اكتشاف حضارات من كل الفترات التاريخية تقريبا ولكن يلاحظ تركيز واهتمام الحملة بالفترات المبكرة.

فقد تمّ اكتشاف (لأول مرة) حضارات نوبية تمّ التعرّف عليها من القبور ومحتوياتها وتمّت مقابلتها تاريخيا من التاريخ المصرى(٢٥) ومن النتائج السلبية والهامّة لهذا المسح عدم العثور علىأى أدلّة لوجود سكان وحضارات فى الفترة الواقعة بين نهاية الدولة الحديثة (١٠٨٥ قم) وبداية الفترة البطلمية (٣٣٢ قم).

وفى نفس الوقت الذى كان يجرى فيه المسح الأثرى بتمويل من الحكومة المصرية وصلت الى النوبة بعثات خاصة بتمويل من جامعات ومؤسسات أوربية وأمريكية وحفرت جنوب وادى السبوع فى عمارة، عنيبة، بوهين، أرمينا، توشكا، فرص، صنم أبو دوم، مروى، سنار. وقد امتدّ نشاط البعثات الخاصة الى مناطق أخرى كثيرة فى السودان. فقد حصلت بعثة من جامعتى هافارد وبوسطن على ترخيص للقيام بحفريات فى كل المناطق الهامة بشمال السودان. وبين الأعوام ١٩١٢-١٩٣٢ تمكنت هذه البعثة برئاسة جورج رايزنر من إجراء حفريات فى القلاع المصرية حول الشلال الثانى، وفى كرمة ونورى والكرو والبركل والبجراوية. وقد كان من أهم نتائج هذه الحفريات تكوين قائمة ملوك نبتة ومروى حسب التسلسل الزمنى من سنة ٨٥٠ قم حتى سنة ٣٥٠م تقريبا.

قبل تعلية الخزان الثانية أعدّت الحكومة المصرية حملة المسح الأثرى الثانى(١٩٢٩-١٩٣٤) برئاسة أميرى ومساعده كيروان،وقد تمّ خلالها العثور على مدافن من مختلف الفترات التاريخية تعتبر تكرارا لما وجد فى الحملة الأولى. ولكن حققت الحملة اكتشافات هامّة فى موقعى بلانة والقصطل حيث عثرت على مقابر ملكية ضخمة يعود تاريخها للفترة ٣٥٠-٥٥٠م، أى الفترة التى أطلق عليها رايزنر عام١٩٠٧ م حضارة المجموعة (س). كذلك أوكلت مصلحة الآثار المصرية للايطالى مونريه دى فيار مهمة دراسة وتدوين كل الآثار المسيحية فى النوبة.

وفى ذات الوقت جرت فى أماكن عديدة من النوبة حفريات مستقلة فعملت بعثة من المعهد الألمانى للآثار فى عنيبة وبعثة من جامعة أكسفورد فى فركة والكوة. وفى نهاية الأربعينات قامت مصلحة الآثار السودانية باجراء حفريات فى الخرطوم وشمال أمدرمان (الشاهناب) كشفت النقاب عن حضارات من العصر الحجرى الوسيط والحجرى الحديث.

وفى عام ١٩٥٩ بدأت الحملة العالمية لانقاذ آثار النوبة والتى تبنّتها هيئة اليونسكو العالمية،وقد استمرّت عملياتها حتى عام ١٩٦٩. أهم نتائج هذه الحملة بالنسبة لتاريخ السودان القديم هو اكتشاف العصور الحجرية النوبية واكتشاف العديد من المواقع السكنية التى أهملت كثيرا فى الحملتين السابقتين،كما تمّ من خلال هذه الحملة تصحيح بعض النظريات التى طرحها رايزنر مثل وجود حضارة مستقلّة (حضارة المجموعة ب) تقع زمنيا بين حضارة المجموعة (أ) والمجموعة (ج).

التقسيم الى فترات ومميزات كل فترة

خلال الزمن الطويل الذى امتدّ فيه تاريخ السودان القديم شهدت المنطقة تغيرات وتطوّرات متعاقبة فى كل المجالات الحضارية والسياسية هذا الأمر جعل من الضرورى تقسيم هذا الزمن الى مراحل لتوضيح تلك التطوّرات. وبالرغم من أنّ العلماء قد أعطوا مسمّيات مختلفة لتلك المراحل واختلفوا حول تواريخ بعض الحضارات الباكرة مثل حضارة (أ) وحضارة كرمة الا أنّهم متفقون تماما حول الاطار العام للتسلسل الزمنى للحضارات السودانية. وفى الواقع أنّ هذا الاطار- باستثناء

العصور الحجرية - قد أرساه جورج رايزنر إثر عمليات المسح الأثرى الأول وعمليات التنقيب فى الكرو ونورى والبركل والبجراوية.

العصور الحجرية

ربما بدأ العصر الحجرى القديم فى السودان منذ أكثر من ٧٠٫٠٠٠ سنة مضت[٢٧] ثم تلاه العصر الحجرى الوسيط ثم العصر الحجرى الحديث ،والأخير ربما استمرّ حتى نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد.

وقد أبانت الحفريات التى أجريت فى المنطقة حول وادى حلفا ومنطقة الخرطوم أنّ إنسان السودان فى تلك الفترة قد مارس نفس النشاط الذى قام به إنسان العصور الحجرية فى بقية أنحاء العالم وكان يعيش تقريبا بنفس طريقته. وذلك النشاط هو صناعة الأدوات الحجرية وصيد الحيوانات البرية وجمع الثمار الخلوية فى العصر الحجرى القديم. وربما اهتدى الانسان الى اكتشاف النار فى بداية العصر الحجرى الوسيط واستعملها لطهى الطعام وتخويف الحيوانات المفترسة. أمّا فى السودان فقد ظهرت صناعة الفخار فى وقت مبكر جدا بالمقارنة مع جيراننا. ويعتقد أركل وآخرون أنّ ذلك الاكتشاف تمّ فى الخرطوم حوالى سنة سبعة آلاف ق.م[٢٨]

وفى خواتيم العصر الحجرى الحديث (حوالى ٣٥٠٠-٣١٠٠ ق.م)بدأ السودانيون يستقرّون على جانبى النيل ومارسوا صيد الأسماك وألفوا الضأن والماعز ولم يلبثوا أن مارسوا الزراعة بعد ذلك بقليل.

حضارة المجموعة (أ)

انتشرت حضارة المجموعة (أ) فى النوبة السفلى بين الشلال وعبرى.[٢٩] وقد أرّخ رايزنر لبدايتها بعصر ما قبل الأسرات فى مصر، وجعلها تنتهى بنهاية الأسرة الثانية المصرية ،وتبعه فى ذلك أميرى وآخرون.[٣٠] أمّا تريقر فيميل الى أنّ الحضارة انتهت قبل نهاية الأسرة المصرية الأولى.[٣١]

تميزت حضارة المجموعة (أ) بظهور المؤثرات المصرية من جنوب مصر من وجود للبضائع المصرية ومن تشابه فى الفخار وبعض عادات الدفن،وتميزت تلك الحضارة كذلك بانحسار كبير للأدوات الحجرية وبداية استعمال الأدوات النحاسية المستجلبة من مصر. كذلك يلاحظ

استعمال الغلال بصورة واضحة. وهذه الغلال ربما زرعت فى السودان أو جاءت عن طريق التجارة. وجاءت من هذه الحضارة أقدم الأدلة لتأليف البقر، كما تمّ اكتشاف أقدم المنازل المبنية من الحجر. عموما يعتقد العلماء أنّ هذه الفترة شهدت انتعاشا اقتصاديا ملموس انعكس فى حجم الجبانات والبضائع المستوردة ونوعية بعض الأبنية. ولكن فى نهاية الفترة تعرّض السكان لسلسلة من الغزوات المصرية ربما كانت هى (أو انخفاض مستوى النيل) سببا فى إخلاء الأهالى للمنطقة والنزوح إمّا شرقا أو جنوبا. وتدلّ الآثار أنّ الأهالى عادوا للمنطقة فى زمن كانت فيه مصر تحت الأسرة السادسة.

حضارة المجموعة (ب)

اعتقد رايزنر وآخرون بأنّ حضارة مختلفة قد أعقبت حضارة المجموعة (أ) فى نفس المنطقة وكانت تعاصر الدولة المصرية القديمة (الأسرة ٣-٦). هذه النظرية لم تجد قبولا من العلماء فى الآونة الأخيرة وقد استطاع العالم الانجليزى هـ. سميث أن يدحض نظرية رايزنر وأن يبيّن أنّ ما اعتقده حضارة مختلفة ما هو الا قبور الطبقة الفقيرة من المجموعة (أ) أو قبور خالية من أى آثار أو قبور تتبع للمجموعة (ج).[٣٢] هذا، وقد أخفقت كل بعثات الحفر فى العثور على أدلة أثرية لوجود حضارات محلية تؤرّخ للفترة التى كانت تحتلها المجموعة (ب) الوهمية، ممّا اضطرّ العلماء للأخذ بنظرية الخلو السكانى فى النوبة السفلى فى زمن الدولة المصرية القديمة.

حضارة المجموعة (ج)

وتنتشر مواقعها فى النوبة السفلى بين الشلال الأول والثانى ويؤرّخ لها بالفترة الزمنية الواقعة بين نهايات الأسرة السادسة المصرية وبداية الأسرة الثامنة عشرة (٢٢٠٠-١٤٥٠ ق م) وقد عاصرتها فى نفس الفترة تقريبا حضارة كرمة حول الشلال الثالث.

وقد لاحظ علماء الآثار كثيرا من أوجه الشبه بين حضارة المجموعة (ج) فى مرحلتها الباكرة وبين حضارة المجموعة (أ). من ذلك مثلا الفخار ذو الحافة السوداء وشكل القبر وطريقة وضع الجثة.

تميزت حضارة (ج) بوجود بناء من الحجر دائرى الشكل فوق القبر وبتطوّر مضطرد فى شكل القبر مثل بناء غرفة من الطوب الأخضر

مكان الحفرة ،وفى مرحلة تالية أضيفت مقصورة صغيرة من الطوب كذلك من الناحية الشرقية للقبر.(٣٣) تميزت المرحلة الباكرة بانتشار المساكن البسيطة مثل الخيام والقطاطى وربما تدلّ هذه على طبيعة رعوية تتطلّب الترحال من وقت لآخر. وفى الواقع أنّ هناك ظواهر أخرى فى حضارة المجموعة (ج) يمكن أن تفسّر فى هذا الاتجاه مثل اهتمامهم الشديد بالأبقار،فقد رسموها من الصخور وشكلوها من الطين ورسموها على أسطح آنيتهم الفخارية. وبعض العلماء يعتقد أنّ الزراعة لم تلعب دورا أساسيا فى حياة هذه المجموعة.(٣٤)

تعرّضت أرض المجموعة (ج) للاحتلال المصرى فى زمن الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشر المصرية. وقد بنى الملوك المصريون سلسلة من القلاع الضخمة فى المنطقة الممتدة من جنوب أسوان حتى سمنة. ولكن لم يتأثر أهل المجموعة (ج) سلبيا بهذا الاحتلال. وقد يفسّر هذا بأنّهم كانوا يعتمدون فى غذائهم على أنفسهم وليس على مصر كما فعل أهل المجموعة (أ). وتفسير آخر هو أنّ المصريين قد جاءوا بسياسات مختلفة هذه المرّة جعلت التعايش ممكنا بين الشعبين. كذلك وضح من الآثار أنّ التأثير المصرى على حضارة المجموعة (ج) كان محدودا جدا. كما وضح تأثير حضارة كرمة عليها فى المرحلة المعاصرة لفترة الاضمحلال الثانية فى مصر.

<u>مملكة كرمة (كوش) ٢٤٠٠ ق م – ١٤٥٠ ق م</u>

"كرمة" هو الاسم الحديث للقرية التى توجد بها آثار أقدم مملكة سودانية والتى ربما كانت بدايتها فى حوالى منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد. ولابدّ أن (يام) التى أشارت اليها نصوص الأسرة المصرية السادسة كانت نواة هذه المملكة العظيمة. وظهر اسم كوش لأول مرّة فى نصوص الدولة الوسطى،واكتسب ملك كوش شهرة ومكانة عظيمة أيام حكم الهكسوس فى مصر. فقد دارت مكاتبات بين حكام الهكسوس فى مصر وبين حاكم كوش أوضحت أنّ الأخير كان يقف ندّا لرصيفه الهكسوسى.

من ناحية أخرى أبانت الآثار الكثير عن عظم كوش وثرائها. فمن آثارها المهمة المقابر الضخمة التى حفرها رايزنر(١٩١٣– ١٩١٦) والتى تعتبر أضخم مقابر من نوعها عرفت فى تاريخ السودان القديم والحديث.(٣٥) ومن آثارها الهامّة أيضا الكتلة الطينية الضخمة

ومخلّفات المدينة التى بدأت حفرياتها فى السبعينات ومازال العمل جاريا فيها الى الآن.[٣٦] وقد أوضحت تلك الحفريات نمو المدينة المضطرد منذ نشأتها فى حوالى سنة ٢٤٠٠ قبل الميلاد، وحتى تدميرها بواسطة الغزاة المصريين حوالى سنة ١٤٥٠ قبل الميلاد.[٣٧]

. [illegible] مملكة كرمة فى اقتصادها على التجارة. وقد كانت مصر محور العلاقات التجارية حيث كشفت الحفريات عن كميات كبيرة من البضائع والمنتوجات المصرية. وفى مقابل ذلك، يرجّح أنّ كرمة صدّرت للشمال البضائع التقليدية التى تحتاجها مصر مثل سن الفيل والأبنوس وجلود الحيوانات والأخشاب والذهب وربما العبيد أيضا.

وكنتيجة طبيعية لهذه العلاقة التجارية القوية التى نمت مع مصر، فقد تركت مصر بصماتها على حضارة كرمة. وتبدو قوّة الأثر المصرى على الفخار وعلى بعض الصناعات مثل صناعة الأسلحة والأثاثات المنزلية، ومن ناحية أخرى كان الأثر المحلّى واضحا وقويا وغالبا كذلك، وقد تمثل بجلاء فى عادات الدفن وفى كثير من الصناعات الصغيرة وفى أطر المعمار المنزلى.

اصطبغت مملكة كرمة كذلك بالصبغة الحربية وينعكس ذلك فى كمية الأسلحة (الخناجر) التى جاءت بها الحفريات. هذه النزعة الحربية ربما كانت ضرورية لإحكام قبضة ملوك كرمة على التجارة.

لم يتبنّ ملوك كرمة لغة رسمية مكتوبة وبالتالى لم يتركوا وراءهم أى سجلات تساعدنا فى معرفة اسمائهم أو حدود مملكتهم أو أعمالهم ونشاطاتهم الأخرى. ويعتقد العالم أدامز أنّه لو أتيحت الفرصة لمملكة كرمة لتنمو نموا طبيعيا لاستطاعت أن تشق طريقها وتبلغ مراتب حضارية أعلى، بما فى ذلك تدوين أعمال الملوك.[٣٨] ولكن التدخل المصرى فى السودان فى زمن الأسرة الثامنة عشر عجّل بنهاية مملكة كرمة فوقعت بلاد النوبة بين الشلّال الأول والرابع تحت الاحتلال المصرى والذى استمرّ حتى نهاية المملكة المصرية الحديثة.

الاحتلال المصرى فى زمن الدولة الحديثة ١٥٧٠ق م-١٠٨٥ق م

استمرّ الاحتلال المصرى قرابة الخمسمائة عام، وفى هذه الفترة صارت بلاد النوبة حتى الشلّال الرابع تتبع اداريا للاقليم المصرى

الجنوبى. وكان على رأس هذه الادارة حاكم مصرى يتبع رأسا للملك فى مصر وكان له معاونان يقيم الأول فى عنيبة فى النوبة السفلى، أمّا الثانى فيقيم فى عمارة الغربية فى النوبة العليا.(٣٩)

تبع تنظيم الادارة استيطان أعداد كبيرة من المصريين فى السودان. كما بدأت فى نفس الوقت حركة نشطة فى مجال البناء وخاصة بناء المعابد على الطراز المصرى. ووصلت هذه الحركة أوجها فى زمن الأسرة التاسعة عشر. وقد كان من نتائج هذا الوجود المصرى فى السودان اختفاء كل الحضارات المحلّية بعد فترة وجيزة من دخول المصريين وحلول حضارة مصرية مطابقة لحضارة مصر المعاصرة.

خرج المصريون من السودان فى نهاية الأسرة العشرين. دخلت بعد ذلك بلاد النوبة فى فترة غامضة غموضا شديدا انعدم فيها أى أثر لوجود سكان، واستمرّ الحال كذلك فى النوبة السفلى حتى بداية الفترة البطلمية. أمّا فى النوبة العليا فقد كانت الفترة أقصر (حوالى مائتى عام) حيث تمّ اكتشاف مخلّفات النبتيين الأوائل فى الكرو والتى يرجع تاريخها لحوالى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد.

مملكة نبتة (٨٥٠ ق م - ٣٠٠ ق م)(٤٠)

نبتة اسم قديم أطلقه مصريو الدولة الحديثة على المنطقة حول جبل البركل. وقد تميزت هذه الفترة بتكدّس المواقع الأثرية والمبانى الملكية فى هذه المنطقة، وهذا يفسّر اطلاق اسم نبتة عليها. وتوجد أهم المواقع الأثرية فى الكرو (جبّانة)، نورى (جبّانة)، البركل (معابد وجبّانتان) مروى وصنم أبودوم (جبّانة ما معبد ومبانى عامّة)

يمثل قيام مملكة نبتة تطوّرا سياسيا هامّا فى السودان حيث استطاعت أسرة محلّية من منطقة الكرو أن تبسط نفوذها على مساحة واسعة فى فترة وجيزة ثم تنطلق بفتوحاتها عبر الحدود الى مصر وتؤسّس الأسرة المصرية الخامسة والعشرين.

بعد انتقال الملوك السودانيين للعاصمة الجديدة فى ممفيس فى مصر وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام الصراعات الدولية فى شرق البحر الأبيض المتوسط فشاركوا فيها وأخطأ تهارقا عندما تحالف مع دويلات جنوب سوريا ضد الأشوريين الأمر الذى جرّ عليه غضب الأشوريين فدخلت جيوشهم مصر والحقوا الهزيمة بتهارقا وخليفته تانوت أمانى.

أضعفت هذه الهزائم قبضة السودانيين على مصر فخرجت عن أيديهم نهائيا عام ٦٥٦ ق٠م٠

بقدر ما كان الطابع المحلّى غالبا على حضارة النبتيين الأوائل والتى تعكسها مخلّفاتهم فى الكرو إلا أنّ الفترة بعد بعانخى (٧٤٩-٧١٦)ق٠م اصطبغت بصبغة مصرية قوية تتضح فى عادات الدفن وألقاب الملوك وطريقة لبسهم واللّغة الرسمية التى كتبوا بها مخطوطاتهم٠ بعد خروج النبتيين من مصر بدأ هذا الأثر المصرى يضعف ولكن كثيرا منه بقى ملازما للحضارة السودانية فى مراحلها اللاّحقة حتى قبيل قيام الممالك المسيحية٠

أمدتنا الفترة النبتية بأقدم المخطوطات الملكية السودانية مكتوبة باللّغة المصرية وهى تفيد كثيرا فى القاء مزيد من الضوء على طبيعة النظم السياسية والاجتماعية فى مملكة نبتة٠ (أنظر أعلاه ص ٤٦)

الفترة المروية ٣٠٠ ق٠م - ٣٥٠م

فى حوالى سنة ٢٧٠ ق٠م انتقلت مدافن الملوك من نبتة الى البجراوية بالقرب من مروى وانتقل مركز الثقل الى هناك مع العلم أنّ نبتة لم تفقد أهميتها نتيجة لذلك٠

تميزت الفترة المروية بعدّة مميزات أهمها: فى الجانب الحضارى يلاحظ كثير من التطورات ذات الطابع المحلّى[٤١] مثل الفخار الأسود اللاّمع الذى حلّ محل الفخار النبتى، واختراع الكتابة المروية حوالى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد وظهور آلهة جديدة (أبادماك، أرسنوفس، وسبوى مكر) واتخاذ طابع جديد من المعمار الدينى تمثل فى المعبد ذى القاعة الواحدة٠ فى الجانب الاقتصادى ظهر اهتمام أكبر بالماشية وبناء الحفائر لتخزين المياه واستعمالها فى فترات الشح٠ كذلك يلاحظ الاهتمام بانتاج الحديد والذى توفرت خامته حول المدينة٠

من الناحية السياسية لم تنقطع العلاقات مع مصر بل تطوّرت تحت حكم البطالمة الأوائل٠ وقد أبانت المصادر الكلاسيكية أنّ عددا من المواطنين الاغريق قد زاروا مروى٠ دخلت العلاقات البطلمية المروية مرحلة حرجة على عهد بطلميوس الخامس والسادس الذى توسّع

فى النوبة السفلى على حساب ملوك مروى.

وفى سنة ٣٠ ق.م وقعت مصر تحت الحكم الرومانى. وبعد ذلك بقليل وقعت حرب بين المرويين والرومانيين (حوالى ٢٤ - ٢٣ ق.م) وتمكن الجانبان فى النهاية من الوصول الى الصلح،ودخلا فى مرحلة تعاون وصداقة استمرّت حتى عهد الامبراطور دايوكليشن (٣٠٥ -٢٨٤م). وكان من نتائج هذا الصلح امتداد الحدود الرومانية- المصرية الى المحرقة فى النوبة السفلى. كانت الأحوال داخليا مستقرّة ،وحظيت النساء المرويات من البيت الحاكم بمكانة هامّة ومرموقة. كذلك شهدت الفترة المروية المتأخرة (بعد القرن الأول قبل الميلاد) رجوع السكان الى منطقة النوبة السفلى. وفى الفترة التالية شهد هذا الاقليم طفرة حضارية هائلة وغدا من أهم أقاليم المملكة. وفى حوالى ٣٥٠م سقطت مملكة مروى تحت ظروف غامضة.

الفترة بعد سقوط مروى (المجموعة س) ٣٥٠م-٥٥٠م

أعقبت سقوط مروى حالة من عدم الاستقرار السياسى. وعموما فإنّ الرؤية غير واضحة فى اقليم النوبة العليا بسبب ندرة المصادر. ويبدو من نص الملك عيذانا ملك أكسوم (وهو المصدر الوحيد بحوزتنا والذى يشير الى الأحوال فى الجزء الجنوبى من المملكة)، إنّ القرن الرابع الميلادى شهد هجرات وتحرّكات كبيرة وسط القبائل الرعوية وبعض هذه القبائل كقبيلة النوبة (النوباديين) والبليميين وصلت الى النيل فى شمال المملكة وتمكنت من فرض سيطرتها على أجزاء منه وأقامت ممالك صغيرة فى فركة ، جمى،بلانة القصطل وقصر ابريم. (٤٢)

وفى الفترة ما بين ٤٥٢م ووقت وصول المبشرين المسيحيين للسودان (حوالى ٥٤٠م) تمكن النوباديون من اقصاء البليميين وفرضوا سيطرتهم على كل النوبة السفلى،ويتضح ذلك من رواية يوحنّا الأفسس عن نشاط المبشرين فى السودان. وفى نفس الرواية يحدثنا يوحنّا عن مملكتين أخريتين، الأولى مملكة المقرّة الى الجنوب من مملكة النوباديين،والثانية مملكة علوة جنوب مملكة المقرّة. وقد دخل ملوك هذه الممالك الثلاثة فى الدين المسيحى وبهذا طويت آخر صفحة من صفحات تاريخ السودان القديم وبدأ ما يعرف بتاريخ

السودان الوسيط .(٤٣)

مشكلة التسميـــات

يلاحظ القارىء فى المراجع الحديثة لتاريخ السودان وجود أكثر من اسم يشار به لسكان السودان فى العصور القديمة مثل اســـــم أثيوبيين (Ethiopians) أو كوشيين (Kushites/ Cushites) أو نوبيين (Nubians) أو نبتيين (Napatans) أو مرويين(Meroites) هذه الحالة من عدم الانضباط فى التسمية عايشها المتخصصون وتعـودوا عليها ،ولكنّها قد تكون مشكلة حقيقية لغير المتخصصين،كما سنبيّـــن لاحقا. وبما أنّ هذا البحث موجّه أساسا للفئة الأخيرة فإنّه يستلـــزم علينا الوقوف عند هذه المشكلة لتوضيح أبعادها.

لفظ أثيوبيين ورد كثيرا فى مؤلّفات بدج ورايزنر ويبـــــدو أنّهما كانا واقعين تحت تأثير الكتاب الكلاسيكيين الذين استعملـوا هذا اللّفظ للاشارة لأهل السودان بصفة خاصة (أعلاه ص٨٤) ولكن اســم أثيوبيين،كما نعلم،قد ارتبط مؤخرا بشعب آخر ولذلك فإنّ استعمالـه اليوم كاسم للسودانيين القدماء قد يثير كثيرا من الخلط واللّبـس فى أذهان القرّاء. ومن حسن الحظ أنّ عدم ملاءمة هذا الاسم سرعان مـا اتضحت للأجيال التالية من العلماء فاسقطوه عن الاستعمال واستبـــدل باسم كوشين أو نبتيين أو مرويين.

وكوشيون مشتق من كلمة مصرية تكتب "كاش كش أو كس . وقـــد ظهرت لأول مرّة فى نصوص من عهد الدولة الوسطى واستعملت للاشـــارة لمنطقة جغرافية محدودة تقع جنوب الشلّال الثانى.(٤٤) ويتفق كثير مـن العلماء على أنّ حاكم كوش الذى وردت الاشارة اليه فى نصوص مصريـة من فترة الاضمحلال الثانية ،هو حاكم كرمة والذى توسّعت مملكته فـــى هذه الفترة وشملت النوبة العليا والنوبة السفلى. أمّا فى زمـــن الدولة الحديثة فقد كانت "كوش" تعنى الاقليم الثانى (الجنوبى) فى السودان تحت الادارة المصرية ،أمّا الاقليم الشمالى فقد احتفظ باسمه القديم وهو "واوات" .

وبقيام مملكة نبتة ظهر اسم "كوش" فى بعض اللّوحات الملكيـة (بل وفى اسم الملك كشتا). وفى لوحة الانتخاب للملك اسبلتا ،وصـــف الملك الاله آمون رع بأنّه إله ملوك "كوش".(٤٥) كذلك عرف السودانيون

للعالم الخارجى بهذا الاسم،فقد ورد لفظ "كوش" فى الكتاب المقدّس وفى الحوليات الآشورية.(٤٦)وفى الفترة المروية ورد اسم "كوش" فى مخطوطات ديموطيفية من القرن الثالث الميلادى ظهر فيها شخص وصف بأنّه كاتب ملك "كوش"(٤٧)

من كل ما ذكر أعلاه يتضح لنا قدم وأصالة الاسم "كوش" وارتباطه بالسودانيين القدماء،وهذا يفسّر القبول الكبير الذى حظى به هذا الاسم لدى جمهور العلماء. ولكن مع ذلك ،فإنّ المسمّيات الأخرى التى ارتبطت بالتقسيم الزمنى مثل نبتيين ومرويين لم تسقط بل نجدها تستعمل جنبا الى جنب مع اسم "كوش" فيقال كوشيو فترة نبتة أو النبتيون وكوشيو فترة مروى أو المرويون. وعند الاشارة الى مملكة "كوش" يكون القصد الفترتين النبتية والمروية.

أمّا الاسم نوبيين فقد ورد ومازال يرد فى كثير من المراجع الحديثة وكان رايزنر وبدج يستعملانه أحيانا بجانب اسم أثيوبيين. وفى الفترة الأخيرة صار يستعمل أكثر للاشارة لأهل السودان فى الفترات المبكرة (فترات المجموعات) وفى الفترة المسيحية. وقد يستعمله البعض بدلا عن الاسم "كوشين". ولكن لابدّ من التوضيح هنا أنّ إطلاق اسم نوبيين على أهل السودان الذين عاشوا فى الفترة قبل القرن الرابع الميلادى، قد ينتج عنه بعض الخلط وسوء الفهم فى أذهان القرّاء،ذلك أنّ لفظ نوبى كما أوضح بروفسير الحاكم(٤٨) له أكثر من مدلول،فهناك المدلول العرقى،واللّغوى والجغرافى والحضارى،وهذه المدلولات ليست بالضرورة متلازمة أو متزامنة ،ولهذا فإنّ الكاتب إذا لم يبيّن بوضوح المعنى الذى يرمى اليه ،فإنّ القارئ ربما فهم اللّفظ بمدلول مغاير لذلك الذى فى ذهن الكاتب.

وإذا تتبّعنا أصل الاسم نوبى أو نوبيين فإنّنا نجد أنّ أقدم ذكر له يوجد فى رواية ذكرها سترابو نقلا عن المؤرّخ أراتوثينس (٢٧٥-١٩٤ ق.م) وجاء الاسم مرتبطا بقبيلة (Greek Noubai) قال عنها أراتوثينس أنّها قبيلة كبيرة تسكن غرب النيل بين مروى (مروى القديمة وبين انحناءة النيل (فى الدبّة ودنقلا) وقال إنّهم مقسّمون الى عدّة ممالك ولا يخضعون لملك مروى.(٤٩)

أمّا ما ذكره بدج أنّ اسم نوبيين مشتق من كلمة مصرية (نبو)

بمعنى الذهب[٥٠] يريد بذلك ارجاعه للعصر الفرعونى - فهو رأى ضعيف ،لأنّه لو كان الأمر كذلك ،لوجدنا اشارة الى بلاد النوبة (تانبو) فى اللّغة المصرية ،ولكن هذا اللّفظ غير موجود فى المعروف من الكتابات المصرية.

أمّا فى اللّغة المروية فإنّ لفظ (النوبى) قد ورد ذكره فى تمثال من البرونز عثر عليه فارستانج فى مروى،وهو الآن بالمتحف البريطانى بلندن،ويؤرّخ التمثال للقرن الأول قبل الميلاد أو القرن الأول الميلادى.[٥١]

خلاصة الأمر،أنّ كل الأدلّة الكتابية تشير الى أنّ النوبيين قوم وفدوا الى النيل من مكان ما،فى غربه وكان ذلك فى فترة ما بعد القرن الثالث قبل الميلاد (المدلول العرقى). ويميل فريق من العلماء الى أنّ وقت مجيئهم كان فى القرن الأول الميلادى مع عودة السكان الى النوبة السفلى،[٥٢] ويتفق معظم العلماء أنّ النوبيين أدخلوا معهم الى منطقة النيل اللّغة النوبية (المدلول اللّغوى).

بعد سقوط مروى علا شأن النوبيين كما ينعكس من الوثائق المعاصرة (أنظر أعلاه ص ٤٧ وص ٥٩) واستنادا على وجود هذه المدلولات العرقية واللّغوية للفظ نوبيين فإنّه يتوجّب على مؤرخى الحضارة السودانية القديمة أن يكونوا دقيقين عند استعمالهم لهذا الاسم خاصة عندما تكون كتاباتهم لغير المتخصصين. ولكن يستطيع الخبير أن يتبيّن أنّ كثيرا من هذه الاستعمالات يقصد بها المدلول الجغرافى أو الحضارى،فقولهم رجل نوبى يقصد به أنّه من منطقة (بلاد النوبة) ،وقولهم حضارة نوبية للتأكيد على محليتها وبعدها عن الأثر الأجنبى.

خاتمـــــــة :-

يتضح ممّا تقدّم أنّ تاريخ السودان القديم ضارب فى أعمـــــاق الزمان،وأنّ حضارته تعدّ ثانى حضارة فى افريقيا،وفى هذا مدعـــــاة لفخر السودانيين. ومع هذا فإنّ شريحة كبيرة من المثقفين السودانيين تجهل تاريخ هذه الحقبة من تاريخ وطنهم. وقد أوضحنا من وجهـــــة نظرنا الأسباب التى ربما أدّت الى هذا التقصير. وذكرنا من بينهـــا ندرة المراجع وصعوبة استقاء الحقائق التاريخية من المصـــــادر الأثرية.

ومن خلال هذا البحث حاولنا،بطريقة مبسّطة،أن نعرّف المثقـــف السودانى بالملامح الأساسية لتاريخ السودان القديم منذ أقدم العصور وحتى قيام الممالك المسيحية آملين أن يكون بحثنا هذا فاتحـــــة شهية لمن رغب فى الاستزادة. ولقد أثبتنا فى الهوامش عددا لا يستهان به من المصادر والمراجع راعينا فى اختيارها أنّ معظمها متوفـــر بمكتبات جامعة الخرطوم وبخاصة قسم السودان فيها.

الهوامـــــش :-

(١) أول مرجع يحتوى على منهج مكتمل عن تاريخ السودان القديم هو كتاب أ. ج. أركل بالانجليزية وعنوانه :- تاريخ السودان القديم منذ أقدم العصور وحتى سنة ١٨٢١م (لندن ١٩٦١). ومن المراجع العربية هناك كتاب شوقى الجمل، تاريخ سودان وادى النيل، الجزء الأول (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٩) وكتاب محمد ابراهيم بكر فى طبعته الثانية وعنوانه : تاريخ السودان القديم (القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٣).

(٢) ج. هرنشو، علم التاريخ (لبنان: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٢).

(٣) نور الدين حاطوم وآخرين، المدخل الى التاريخ (دمشق: المطبعة العصرية، ١٩٦٤) ص ٦٢.

(٤) نفسه، ص ٥٧.

(٥) W.Y. Adams, Nubia; Corridor to Africa (London, 1977), p. 416

(٦) نذكر منهم آدامز، نفسه، ومحمد ابراهيم بكر، تاريخ السودان. أمّا هيكوك فيميل الى اعتبار فترة المجموعة س جزء من تاريخ السودان الوسيط . أنظر هيكوك :

B.G. Haycock " Mediaeval Nubia in the Perspective of Sudanese History," Sudan Notes and Records. 53, (1972), 21

(٧) حول هذا الموضوع أنظر:-

A.M. Ali Hakem, " A History of Archaeological Research in the Sudan," in S. Hochfield and E. Riefstahl, eds, Africa in Antiquity, vol.1 (Brooklyn, 1978), pp. 37-45.

(٨) من أميز المراجع التى تحتوى على عدد كبير من الوثائق المصرية المعروفة حتى سنة ١٩٠٦ مترجمة الى اللغة الانجليزية كتاب ج. هـ . بريستد:-

Ancient Records of Egypt (Chicago, 1906).

والكتاب يقع فى خمسة أجزاء.

(٩) توجد ترجمة لبعضها فى كتاب بريستد المار ذكره. وتوجد نصوص وترجمات لمجموعة أخرى فى المراجع الآتية :-

E.A.W. Budge, Annals of Nubian Kings (London, 1912); M.F.L Macadam, The Temples of Kawa vol 1 (London, 1949)

(١٠) عبد القادر محمود عبد الله، اللغة المروية. الجـــزء الأول (الرياض) مطابع جامعة الملك سعود، ١٩٨٦). ص ٧١.

(١١) لمتابعة هذه الجهود أنظر عبد القادر محمود فى مرجعه السابق الفصل الثالث والخاتمة.

(١٢) W.B. Emery and L.P. Kirwan, The Royal Tombs of Ballana and Qustul (Cairo, 1938) p. 15.

(١٣) J. Rea, "The Letter of Phonen to Abourni," Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphic, 34 (1979) 147-162.

(١٤) Herodotus. The Histories (London, 1972).
(الأثيوبيون فى مفهوم هيرودوت هم ملوك ورعايا مملكة كوش، ولكن للفظ (أثيوبيين) مدلول أوسع حيث استعمله كتاب آخرون بالاشارة لكل الأقوام ذوى البشرة السوداء أو السمراء فـــى آسيا وافريقيا.

(١٥) Diodorus of Sicily vols 1 and 2 (London, 1961).

(١٦) Strabo, Geography vol.8 (London, 1949).

(١٧) مثلا وصف بليـــن البليميين بأنّهم قوم لا رؤوس لهم وأنّ عيونهم وأفواههم تنمو فوق صدورهم. أنظر كتابه :- Natural History V,viii

(١٨) نفسه.

(١٩) Seneca, Natural Quest, quoted by Shinnie in Meroe, a civilization of the Sudan (London, 1967), p.21

(٢٠) T. Eida etal "Greek, Latin and Coptic Sources for Nubian History". Sudan Texts Bulletin,1 (1979), 3-12.

(٢١) نفسه، ص ١١

(٢٢) Procopius, History of the Wars. vol 1 (London, 1914), pp.184-189.

(٢٣) حول هذا الموضوع أنظر المراجع الآتية :-

D.P. Dymond, Archaeology for the Historian (London,1967); C. Renfrew, Social Archaeology (Southhampton,1973); A.M. Abdalla "Meroitic Social Stratification" in Meroitica, 7 (1984), 23-84

(٢٤) المراجع التى اعتمدت عليها الكاتبة فى كتابة هذا الجزء من البحث هى:-

Adams, Nubia, Hakem, " A History," and W.B. Emery,Egypt in Nubia (London, 1965)

(٢٥) Emery, Egypt, p. 44

(٢٦) H. Smith " The Nubian B- Group," Kush,14 (1966),69-124.

(٢٧) Adams, Nubia, p. 103.

(٢٨) A.J. Arkell " Khartoum's part in the Development of the Neolithic," Kush 5 (1957),11. See also R.Haland"Problems in the Mesolithic and Neolithic Culture-History in Central Nile Valley, Sudan, in T. Hagg ed., Nubian Culture, Past and Present (Stockholm,1987), p. 47.

(٢٩) Adams, Nubia, p.119.

(٣٠) Emery, Egypt, p. 44, Adams, Nubia, p. 7.

(٣١) B.G. Trigger, Nubia Under the Pharaohs, (London, 1976), p. 44.

(٣٢) أنظر الهامش رقم ٢٦.

(٣٣) Emery, Egypt, p. 159 and figure 27.

(٣٤) M. Bietak " The C- Group and the Pan- Grave Culture in Nubia," in T. Hagg, ed., Nubian Culture, pp. 113-128

(٣٥) G.A. Reisner " Excavations at Kerma, Part 1-111," Harvand African Studies 5 (Cambridge, Mass, 1923).

(٣٦) أجرت هذه الحفريات بعثة من جامعة جنيفا برئاسة شارلس بونيه وقد نشرت تقارير عنها فى أعداد مختلفة من مجلة Geneva صدرت فى الفترة من عام ١٩٧٨-١٩٨٨ تحت عنوان:-
Les Foilles; archeologiques de Kerma, (Sudan).

(٣٧) C.Bonnet, "Kerma, royaume africain de Haute Nubie" in

T. Hägg ed., Nubian Culture, pp. 87-109.

(٣٨) Adams, Nubia, p. 216.

(٣٩) Trigger Nubia, p. 111.

(٤٠) A.J. Arkell A History of the Sudan (London, 1961). p.110 fd.

(٤١) هنالك عدّة آراء حول وجود تأثير خارجي (هندى،هلنستى أو رومانى) على الحضارة المروية ،لكن نعتقد أنّه لا مجال هنا لاستعراض ونقاش تلك الآراء. لمزيد من التفاصيل،أنظر المراجع الآتية :-

A.M. Ali, Hakem, Meroitic Architecture (Khartoum, 1988) F. Hintze " The Kingdom of Kush, the Meroitic Period" in S. Hochfield, ed., Africa in Autiquity, pp.89-105 and Shinnie, Meroe

(٤٢) L. Török, A Contribution to post- Meroitic Choronology, Meroitic News Letter 24 (1985), 1-96.

(٤٣) S. Jakobielski " North and South in Christian Nubian Culture: Archaeology and History," in Hagg, ed., Nubian Culture, pp. 231-235.

(٤٤) G. Posener, " Pour une localization de pays Koush au moyen empire," Kush 6 (1985), 39-68.

(٤٥) Abdel-Gadir M. Abdalla. " Napatan-Meroitic Continuity," a paper presented in the 5th International Conference for Meroitic Studies. Rome (1984), 6.

(٤٦) E.A.W. Budge A History of Ethiopia, Nubia, and Abysinia (London, 1928), p.3

(٤٧) F.L. Griffith Catalogue of the Demotic Graffiti of the Dodecaschoenus vol 1, (Coxford, 1937), pp. 121-122.

(٤٨) أحمد محمد على الحاكم "النوبة وتاريخ السودان القديم"مجلة كلية الآداب ،العدد ٤ (١٩٨١)،صفحات ٨١ – ١١٠

(٤٩) Samia B. Dafaalla " Distribution and Migrations of the Nubian Tribes during the Meroitic and x-Group Periods," Bietrãge Zür, Sudanforschung 4 (1989), 76-95.

(٥٠) Budge, A History of Ethiopia, p. 5.

(٥١) أنظر الشكل وتعليق أ س وينق فى:-

S. Hochfield, ed., Africa in Antiquity vol.2 (Brooklyn, 1978). fig, 139, p.218.

(٥٢) N.B. Millet, " Some Notes on the Linguistic Background of modern Nubia," in R.A. Fernea, ed., Contemporary Egyptian Nubia (New Haven, 1966), pp. 59-77.

(٥٣) B.G. Trigger " Nubian Ethnicity; Some Historical Considerations," Bibliotheque, d'Etudes, 77 (1978), 317-323.